الفصل السابع

الخلفية الدينية لاغتيال رابين

obeikandi.com

obeikandl.com

تم اغتيال إسحاق رابين رئيس الوزراء لأسباب دينية . فالقاتل والمتعاطفون معه كانوا وما زالوا يؤمنون بأن القتل حدث بأمر من الله ولهذا فهو فريضة يهودية . وأشارت استطلاعات رأى واسعة نشرت بالصحف الصادرة بالعبرية وذلك للأشخاص الذين يقطنون بالأحياء الدينية وخاصة المستوطنات الدينية ، إلى وجود جانب كبير من التعاطف مع الجريمة . كما ازداد أيضًا استقطاب الموافقة وعدم الموافقة فى المجتمع اليهودى الإسرائيلى على قتل رئيس وزراء الدولة اليهودية منذ حدوث الجريمة . فالكثير من اليهود الإسرائيليين وأعداد كبيرة من اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل ومعظم غير اليهود ليست لديهم المعرفة الكافية بالتاريخ والديانة اليهودية ؛ لكى يضعوا هذا النوع من الاغتيال داخل سياقه الملائم . وفى هذا الفصل سوف نحاول تقديم الخلفية التاريخية ـ الدينية الضرورية لفهم اغتيال رابين .

يمتلئ تاريخ اليهود بالعديد من الحروب الأهلية الدينية أو التمردات المصحوبة بحروب أهلية والتى ارتكبت فيها جرائم اغتيال مروعة . ويعتبر التمرد العظيم «٦٦ ـ ٧٣ ميلادية» لليهود ضد الرومان والذى بلغ ذروته

0be1kan...com

بتدمير الهيكل الثانى والانتحار الجماعى فى المسادا(*) نموذجًا مثاليّا لذلك. وكان المدافعون عن المسادا وهو ما يجهله الكثير من زوار موقع المسادا اليوم، مجموعة من السفاحين يطلق عليهم اسم سيكاريكين. وهذا الاسم مأخوذ من وصف كان يطلق على سيف قصير يخفيه أعضاء الجماعة تحت أرديتهم، ويستخدمونه فى قتل خصومهم اليهود فى الزحام. **وفى التلمود تعنى هذه الكلمة الإرهابيين أو اللصوص وتستخدم فقط مع اليهود.** والواقع أن السيكاريكين، هم أصل يهودى قديم لإرهابيى اليوم. ونشاطهم الاستشهادى يشبه السلوك الإرهابى لمفجرى القنابل الاستشهاديين(**) والمكروه لأقصى درجة فى دولة إسرائيل. فقد هرب السيكاريكين إلى المسادا ليس من الرومان ولكن من أشقائهم اليهود. وبعد وقت قصير من بدء التمرد على الرومان، هزم الجيش الرومانى الذى كان يتقدم نحو القدس واضطر للانسحاب. وحاول السيكاريكين تتويج زعيمهم مناحم كملك مطلق. وقام يهود القدس بالهجوم على السيكاريكين وهزيمتهم فى الهيكل وقتلوا معظمهم بمن فيهم مناحم، وهرب ما تبقى منهم إلى المسادا، حيث ظلوا هناك طوال التمرد، ولم يقاتلوا الرومان ولكنهم كانوا يسرقون القرى اليهودية المجاورة. وبعد ثلاثة أعوام من هزيمة السيكاريكين زحف الجيش الرومانى بقيادة تيتوس على القدس للقيام بشن الهجوم النهائى. «كان

(*) قلعة أثرية فى الأراضى المحتلة وقعت فيها حادثة الانتحار الجماعى اليهودى فى عصر الرومان.

(**) هذا هو نص الكتاب -المترجم.

رئيس أركان تيتوس، تيبرياس جوليوس ألكسندر، يهوديًا، وكان ابن شقيق الفيلسوف العظيم فيلو» وكانت القدس مقسمة إلى ثلاثة أجزاء وكل جزء كان يخضع لهيمنة قائد مختلف، وكان القادة يتقاتلون فيما بينهم لمدة عامين. وكانت الإمبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت مشغولة بالحرب الأهلية، وكان أحد القادة، وهو الكاهن إليعازر، يسيطر على الهيكل ويستخدمه كحصن قوى. **وفى عشية عيد الفصح عام ٧٠ ميلادية قام قائد متمرد آخر وهو يوحانان حاكم جوش هالاف بالتفكير فى خطة عبقرية للتغلب على إليعازر، فقام بإلباس جنوده أردية الحجاج بحيث يبدون وكأنهم جاءوا إلى الهيكل من أجل التضحية فى عيد الفصح. وبعد أن سمح لهم بالدخول إلى الهيكل بواسطة إليعازر الساذج دون تفتيش، قاموا بعد أن ضمنوا على نحو صحيح أن إليعازر ورجاله لا يحملون أى سلاح فى هذا المكان المقدس، بتجريد سيوفهم وذبح أعدائهم، أما إرهابيو المسادا فقد أصبحوا أبطالاً قوميين يهوداً وإسرائيليين، كما أصبح كذلك يهود القدس الذين قتلوا معظم السيكاريكين.** كذلك أصبح يوحانان حاكم جوش هالاف أيضًا بطلاً قوميًا، أما الكاهن إليعازر فقد طواه النسيان، ربما لأنه قتل على يد اليهود. وفى هذه الحوادث وحوادث أخرى مماثلة كان القتل يرتكب من أجل **«التمجيد الأعظم لله»**، وزعم إيجال عامير أنه اغتال رابين من أجل ذلك.

لم ينته العنف بين اليهود مع فقدان الاستقلال اليهودى وتوقف التمردات اليهودية. «حدث آخر تمرد يهودى فى عام ٦١٤ ميلادية». ومنذ العصور الوسطى وحتى قيام الدولة الحديثة تمتعت المجتمعات اليهودية بدرجة من الاستقلال تحت السيادة الرومانية. **وكان الحاخامات الذين يرأسون هذه المجتمعات ويمتلكون السلطة قادرين غالبًا على اضطهاد اليهود بلا رحمة. فكانوا يضطهدون اليهود الذين يرتكبون آثامًا** دينية، **كما كانوا يضطهدون اليهود الذين يقومون بالوشاية عن اليهود إلى غير اليهود أو يضرون بالمصالح اليهودية. وكان الحاخامات عادة يتسامحون مع العنف الذى يمارسه بعض اليهود ضد يهود آخرين، وخاصة ضد النساء، ما دامت لم تتضرر من ذلك الديانة اليهودية** ومصالحهم الخاصة.

والصلة بين هذا الجانب من «التاريخ اليهودى» واغتيال رابين واضحة تمامًا. فالقاتل إيجال عامير هو دارس التلمود، **تم تدريبه فى إحدى** المدارس الدينية «ياشيڤاه» التى كانت تغرس فى أذهان طلابها أن هذا **العنف الذى كان يرتكبه الحاخامات على مدار الزمان كان يتم تبعًا لكلمة الرب**

وقبل وقت طويل من اغتيال رابين، كانت الدراسات البحثية «للتاريخ اليهودى» المكتوبة بالعبرية تشير إلى العنف المذكور. وأدى الاغتيال إلى إثارة الكثير من الاهتمام الجماهيرى بهذه القضية لدرجة قيام الصحافة العبرية بنشر العديد من المقالات التى كتبت بواسطة أو من خلال لقاءات شخصية مع باحثين إسرائيليين بارزين. ويعتبر مقال رامى

روزين الذى نشر فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٦م بمجلة ها آرتس بعنوان «تاريخ الإنكار» مثالاً ممتازًا يعبر عن ذلك. وعلى الرغم من قيام روزين بإجراء لقاءات شخصية مع العديد من المؤرخين البارزين، فقد اعتمد بشكل أساسى على آراء البروفيسور إسرائيل بارتال، رئيس قسم التاريخ اليهودى بالجامعة العبرية بالقدس.

استهل بارتال حديثه بالقول:

«وصفت الصهيونية يهود الشتات بأنهم شعب ضعيف يرغب فى السلام، ويكره أى شكل من أشكال العنف. ومن المثير للدهشة أن نكتشف أن اليهود الأرثوذكس أيضًا يقدمون أوصافًا مماثلة. فهم يصفون المجتمع اليهودى فى الماضى على أنه لم يكن مهتمًا بغير الهالاخاه وإقامة الفروض الدينية.

ولكن كل الكتابات اليهودية التى أنتجت فى أوروبا الشرقية تخبرنا أن العكس هو الصحيح. فحتى فى القرن التاسع عشر تمتلئ بالأوصاف التى تتحدث عن حياة اليهود بالمعارك العنيفة التى حدثت فى المعابد الدينية، وتتحدث عن يهود يضربون يهودا آخرين فى الشوارع، أو يبصقون عليهم، وعن نتف اللحى وعن جرائم القتل».

ومن خلال الاستشهاد بأقوال بعض المتعمقين فى الديانة اليهودية، يقول روزين إن الكثير من جرائم القتل ارتكبت لأسباب دينية، وكان من المعتاد فى بعض الدوائر الحسيدية حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الهجوم على وقتل اليهود ذوى الميول الإصلاحية، حتى ولو كانوا قليلى

obeikandl.com

العدد. وقام هؤلاء اليهود الحسيديون أيضًا بالهجوم على بعضهم البعض بسبب الشجارات الكثيرة بين مختلف الحاخامات المقدسين على دوائر النفوذ والمال والمكانة. وبعد أن تعرف على آراء أفضل الباحثين الإسرائيليين، تساءل روزين :

هل إيجال عامير وباروخ جولدشتاين ويوناح أفروشمى (الذى ألقى بقنبلة يدوية على مظاهرة لحركة «السلام الآن» فقتل شخصًا وجرح بضعة أشخاص) وآمى بوبر (الذى قتل سبعة عمال فلسطينيين أبرياء واعتبره المتطرفون بطلاً عظيمًا) يمثلون أجزاء من العرف اليهودى؟ وهل من قبيل الصدفة فقط أن قتل باروخ جولدشتاين ضحاياه فى عيد البوريم؟

ويجيب روزين عن سؤاله بقوله :

«تبين مراجعة الحقائق الأساسية للتاريخ اليهودى للألف والخمسمائة عام الأخيرة، أن الصورة مختلفة عما كنا نعرفه فى السابق. فهى تحتوى على مذابح للمسيحيين «بواسطة اليهود» وتكرار ساخر لصلب المسيح، عادة فى عيد البوريم، وجرائم قتل وحشية داخل العائلة،وتصفيات للوشاة، تمت غالبًا لأسباب دينية بواسطة المحاكم السرية الحاخامية التى كانت تصدر الأحكام وتعين منفذيها السريين، كما كان يتم اغتيال الزانيات فى المعابد الدينية أو تجدع أنوفهن بأمر الحاخامات»(*).

(*) نظرًا لأهمية هذه الفقرة ، فقد قمنا بتصوير أصلها الإنجليزى من الكتاب.

obeikandi.com

> Were Yigal Amir, Baruch Goldstein, Yonah Avrushmi [who threw a hand grenade into a Peace Now demonstration, killing one and wounding a few people] and Ami Poper [who killed seven innocent Palestinian workers and was adopted as a great hero by extremists] parts of the Jewish tradition? Is it only by chance that Baruch Goldstein massacred his victims on the Purim holiday?

Rosen answered his own question:

> A check of main facts of the [Jewish] historiography of the last 1500 years shows that the picture is different from the one previously shown to us. It includes massacres of Christians [by Jews]; mock repetitions of the crucifixion of Jesus that usually took place on Purim; cruel murders within the family; liquidation of informers, often done for religious reasons by secret rabbinical courts, which issued a sentence of "pursuer" and appointed secret executioners; assassinations of adulterous women in synagogues and/or the cutting of their [the women's] noses by command of the rabbis.

Rosen included in his long article many well-documented cases of massacres of Christians and mock repetitions of the crucifixion of Jesus on Purim, most of which occurred either in the late ancient period or in the Middle Ages. (Some isolated cases occurred in sixteenth-century Poland.) From the eleventh century until the nineteenth century, Ashkenazi Jews were more violent and fanatical than were the Oriental Jews, although the fanaticism of the Spanish Jews during both Muslim and Christian rule was exceptional. Jewish historians have not yet determined the causes of those differences.

opeikandl.com

وضمن روزين مقاله الطويل الكثير من الحالات المدعمة بالوثائق للمذابح التى ارتكبت ضد المسيحيين، والتكرار الساخر لصلب المسيح فى عيد البوريم، والتى حدث معظمها إما فى أواخر الزمن القديم أو فى العصور الوسطى. (وهناك بعض الحالات المنفردة حدثت فى پولندا فى القرن السادس عشر). ومنذ القرن الحادى عشر وحتى القرن التاسع عشر كان اليهود الأشكناز أكثر عنفًا وتعصبًا من اليهود الشرقيين، على الرغم من أن تعصب اليهود الإسپان أثناء كل من الحكمين المسيحى والإسلامى كان أمرًا استثنائيًا. ولم يقم المؤرخون اليهود مع ذلك بتحديد أسباب هذه الاختلافات.

أثر العنف المرتكب ضد النساء لقرون عديدة والجوانب الأخرى من العنف الداخلى للتجمعات اليهودية على الشخصية النامية للمجتمع اليهودى التقليدى.

وهذه الشخصية التى شكلت الإطار العام لاغتيال رابين، والاستشهاد ببعض الأمثلة هنا ربما يمكن أن يساعد على المزيد من الفهم لهذه الشخصية. ويعتبر كتاب الحاخام سمحة عساف المعنون باسم (العقوبات طبقًا للتلمود أصبحت نهائية: مواد خاصة بتاريخ القانون العبرى) (القدس ١٩٢٢م) مصدرًا للمعلومات الغزيرة. فالحاخام عساف الذى أصبح بعد ذلك أستاذًا بالجامعة العبرية، وفى عام ١٩٤٨م أصبح أحد القضاة التسعة الأول للمحكمة الإسرائيلية العليا، ومن خلال إيمانه بوجوب إقامة دولة يهودية، ألف كتابه من أجل أن يبين أن هناك عددًا

كافيًا من القضايا القانونية التى وجدت فى تاريخ العقوبات المحكوم بها من قبل محاكم دينية يهودية تمثل سوابق كافية.

وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات فى تفسير الهالاخاه وتطبيقها، فإن العنف ضد النساء كان يمارس بشكل روتينى عبر القرون فى معظم المجتمعات اليهودية، وسمح بعض الحاخامات للزوج بأن يضرب زوجته حينما تعصى أمره. وهناك حاخامات آخرون قيدوا هذا «الحق» من خلال اشتراطهم أن تقوم محكمة حاخامية أولاً ببحث شكوى الزوج قبل أن تصدر أمرًا بذلك، وعلى اعتبار أن ذلك امتداد لحق الزوج، قامت المحاكم الحاخامية فى إسپانيا بالأمر بتوقيع أقصى عقوبة على النساء اليهوديات المشكوك فى ممارستهن الدعارة أو الزنى وعقوبة أقل للزناة من اليهود.

وفى أوائل القرن الرابع عشر، قام أحد وجهاء اليهود بسؤال الحاخام الإسپانى الشهير رابينو آشر، عما إذا كان جدع أنف أرملة يهودية حملت سفاحًا من أحد المسلمين يعتبر عقوبة صحيحة؟.

وأضاف الوجيه قائلاً: على الرغم من أن الأدلة ليست قاطعة، فإن الحمل أصبح معروفًا على نحو مؤكد فى المدينة، وأجاب رابينو آشر بالقول: «لقد قررت على نحو حسن أن يقطع أنفها حتى يجدها من يرتكب معها الخطيئة قبيحة، ولكن يجب أن يتم ذلك على حين غرة حتى لا ترتد عن الدين لتجنب حدوث ذلك».. «عساف، ص ٦٩».

وفى حالة قيام يهودى بارتكاب الزنى مع امرأة مسلمة، أمر الحاخام يهودا بن رابينو آشر بأن يعزل أو يسجن فقط «عساف، ص٧٨»، ونفس العقوبة تطبق إذا كان رجل يهودى لديه أمة مسلمة وقام يهودى آخر بارتكاب الزنى معها. واعتبر الحاخامات ارتكاب النساء اليهوديات للزنى مع رجال يهود أمرًا أقل خطورة. وفى هذه الحالة أمر أحد الحاخامات بأن يقصر شعر المرأة وأن تعزل فى أحد المعابد فى وجود نساء أخريات «عساف، ص ٨٧» واستمر اليهود السفارديم فى القدس يقصون شعور النساء كعقوبة لهذه الآثام الجنسية حتى القرن التاسع عشر. وفى بعض الحالات المسجلة كان العقاب يقوم على الاعتقاد بأن الآثام الجنسية لليهود، وخاصة التى ترتكبها النساء، تمنع المطر من الهطول. وافتراض الحاخامات أن المطر يمكن أن يأتى إذا عوقبت النساء اليهوديات المخطئات. وأشار معلقو الصحافة العبرية المثقفون إلى ذلك فى سخرية قائلين ذات مرة: إن المطر لم يأت حتى بعد معاقبة النساء. ومع ذلك ففى الأماكن التى تسود فيها المواقف الأكثر معاصرة، أقلع اليهود الإسپان والبرتغاليون عن هذه العادات المتوارثة، ويستشهد عساف بشيوخ المجتمع اليهودى البرتغالى فى هامبورج فى أواخر القرن التاسع عشر. فعلى الرغم من سماحهم لأعضاء مجتمعهم بتكوين علاقات حميمة مع نساء غير يهوديات، فقد عبروا عن أسفهم لعدم استطاعتهم معاقبتهم. وأشار عساف إلى سبب ذلك قائلاً: «فى كل حالة من هذه الحالات يجب عليهم أن يحصلوا على تصريح من قضاة المدينة» «ص٩٥». ويمكن للمجتمع اليهودى، تبعًا لما قاله عساف، أن ينزل بهم عقوبات دينية

فقط ، وذلك كما حدث عندما تم إخبار شقيقين بأنهما لن يدخلا المعبد اليهودى حتى يتم طرد خادمة سيئة السمعة من منزلهما «ص ٩٧».

وكان يمكن للسلطات الحاخامية اليهودية فى بعض الأجزاء الشرقية من أوروبا أن تطبق عقوبات أكثر صرامة . ومع ذلك فإن هذه العقوبات كانت أقل قسوة من تلك كانت تطبق فى إسپانيا . فى عام ١٦١٢م قرر رؤساء المجتمع اليهودى فى براغ وجوب قيام كل العاهرات اليهوديات بمغادرة المدينة فى تاريخ معين وإلا سوف يتم كيهن بالحديد الساخن «عساف، ص ١١٤» وكانت التهمة الأساسية للبغايا هى أنهن كن يشاهدن وهن يشربن نبيذًا غير حلال «كوشير» مع بعض وجهاء المجتمع ، أما أكثر المجتمعات اليهودية تسامحًا فهى تلك الخاصة بإيطاليا ، كما يقول عساف ، حيث كان يتم التشجيع التام للبغايا لأنهن أنقذن «غير المتزوجين والحمقى من ارتكاب خطايا الزنى أو الإقامة مع نساء غير يهوديات».

وفى مقاله المشار إليه آنفًا يشير روزين إلى أحد البحوث التى أجراها مؤرخون يهود جدد، والذى يبين أن اليهود الإيطاليين أخذوا عن عصر النهضة العادة المتمثلة فى أن الزوج أو الأخ يستطيع أن يقتل زوجته أو أخته دون أن يناله أى عقاب إذا شك فى ارتكابها خطيئة الزنى. ومن أجل تطهير شرف الزوج مما لحق به من عار، قام اليهود بارتكاب العديد من جرائم القتل فى المعبد أثناء الصلاة من أجل أن تكتسب صفة العلنية. فقام أحد اليهود ويدعى عوفيديا من سبوليتو، على سبيل المثال، بقتل زوجته

فى المعبد، وبعد أن أوضح سبب ذلك لم ينل أى عقاب. وقامت السلطات الإيطالية بتقديم عوفيديا للمحاكمة وحكمت عليه بالغرامة ولكن اليهود كانوا يؤمنون بأنه لم يفعل شيئًا خاطئًا. ولم يمر وقت طويل حتى تزوج من امرأة أخرى. وقام الأشقاء فى حالات أخرى بقتل الشقيقات المشكوك فى سلوكهن. واستشهد روزين بإحدى تلك الحالات التى حدثت فى فيرارا فى منتصف القرن السادس عشر. فقد كان القاتل يعمل فى إحدى المنظمات الخيرية التى تنتمى لإحدى الأبرشيات وواصل عمله المعتاد بعد ارتكابه جريمة القتل. وأشار روزين إلى أن الحاخامات فى هذه الحالات لا يتدخلون عادة.

سمح الحكم الذاتى اليهودى قبل نشوء الدولة الحديثة للحاخامات بممارسة شتى أنواع القهر والتى كان العنف ضد النساء أحدها . واستخدم الحاخامات أنواعًا عديدة من العنف ضد اليهود الذين يرتكبون آثامًا دينية أو أية آثام أخرى . وأرادت الأصولية اليهودية رغبة منها فى إحياء الحال الذى كان موجودًا قبل أن تؤدى التأثيرات المعاصرة إلى إفساد اليهود، التأكيد على هذا العنف.

ولعبت مركزية العنف فى الهالاخاه دورًا مهمًا فى نشوء اليهودية الأرثوذكسية. . فاليهودية الأرثوذكسية من الناحية التاريخية كانت تحتوى على نظام مزدوج للقانون. فكان هناك النظام الطبيعى للقانون، ولكن كان هناك أيضًا نظام أكثر استبدادًا يستخدم فى حالة الطوارئ، وهذه المواقف كانت تظهر حينما تكون لدى الحاخامات سلطة عظمى فوق

المجتمع . فكان الحاخامات من خلال زعمهم بأن الهرطقة أو الزندقة بلغت مستويات بالغة الخطورة، يقومون بتجميد النظام الطبيعى للقوانين على الأقل فى مجال حماية معتقدات المجتمع ويلجأون إلى استخدام قوانين الطوارىء من أجل تلافى غضب الله . وأحد أمثلة ذلك يتضح من خلال عقوبة الإعدام . ففى نظام القانون الطبيعيى، كان تطبيق الهالاخاه لعقوبة الإعدام ضد اليهودى أمرًا مستحيلاً تقريبًا، ولكنه أسهل كثيراً بالنسبة لغير اليهودى . وحتى العقوبات الأقل قسوة مثل الجلد ٣٩ جلدة كان من الصعب تطبيقها ضد اليهود . والبديل التلمودى العادى لعقوبة الإعدام بالنسبة لليهودى الذى قتل يهوديّا آخر هو الإفراج عنه دون عقوبة . ويقدم التلمود بديلاً آخر، هذا البديل كما وصفه ميمون فى شروحاته المسماة «قوانين القاتل واتخاذ الاحتياطات» الفصل الرابع الحكم٨، هو أن القاتل اليهودى الذى يعفى من عقوبة الإعدام بواسطة محكمة حاخامية، «يمكن أن يوضع فى زنزانة ضيقة ويعطى فى أول الأمر مقداراً صغيراً من الخبز والماء حتى تضيق أمعاؤه وبعد ذلك يطعم بالكاد حتى تنفجر معدته من المرض» .

وكان القضاة الحاخاميون يواجهون صعوبة فى تطبيق العقوبات حينما يكون الاستقلال اليهودى مقيداً بسلطات مدنية . فقط أولئك القضاة الحاخامات الذين كانوا يعينون من خلال ما يطلق عليهم «الحكام الوضعيون»، على سبيل المثال كان يمكنهم الحكم بتسع وثلاثين جلدة، وقام الحاخامات بعد ذلك بابتكار طريقة أكثر استبداداً تتمثل فى الحكم بما

يسمى «جلد التمرد» . فالوسيلة الجديدة التى كان يمكن لأى حاخام استخدامها كانت تشتمل على عقوبات أكثر صرامة . فعدد الجلدات على سبيل المثال لم يكن محدوداً ، كما تمت إضافة عقوبات أخرى مثل قطع الأطراف والسجن لمدة غير محددة . وبعد الفترة التلمودية واضمحلال الإمبراطوريتين الرومانية والساسانية والخلافات الإسلامية ، أصبحت المجتمعات اليهودية فى أماكن كثيرة أكثر استقلالاً ، وبذلك ازدادت فرص الحاخامات لتطبيق عقوبات أكثر صرامة .

قامت السلطات الدينية اليهودية بممارسة معظم العنف ضد اليهود الذين كان يتم اعتبارهم مهرطقين أو منشقين عن العقيدة ، والعقوبات التى كان يتم تطبيقها كان يجب أن تكون نابعة من التلمود ، أو على الأقل تفسير التلمود . وقد تم وضع التلمود فى ظل حكم وسلطة إمبراطوريتين قويتين وهما الرومانية والساسانية ، حيث قامت كلتاهما بتقييد سلطات الاستقلال اليهودى على نحو زاد كثيراً عما حدث فى نظم القرون الوسطى اللاحقة . وكثيراً ما شكا حكماء التلمود من أنه فى ظل هاتين الإمبراطوريتين ، لم تكن لديهم سلطة معاقبة المجرمين اليهود بالإعدام ولكن من خلال الجلد فقط ، وفى المرات القليلة التى حاول فيها حكماء التلمود إعدام أحد المجرمين اليهود تعرضوا لتحقيقات رسمية صارمة .

إحدى هذه الحالات ، والتى ذكرت فى التلمود الفلسطينى ، تتعلق بداعرة يهودية فى القرن الثالث تم إعدامها فى النهاية ، ومن الواضح أنه بسبب صعوبة تطبيق عقوبة الإعدام ، فإن التلمود لم يأمر بإعدام اليهود

المهرطقين، ولكنه ألزم اليهود الأتقياء بقتلهم من خلال استخدام الحيلة، وهناك قوانين جوهرية بالهالاخاه، على الرغم من تأكيدها على أن عقوبة الإعدام يجب أن يحكم بها فقط إذا كان التنفيذ ممكنًا، تحتوى على هذا الوصف. ومن المفارقات الساخرة أن التعبير النموذجي عن هذا الأمر فى قوانين الهالاخاه مدرج فى الجزء المخصص لإنقاذ الحياة، والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو: **ما الذى يجب على اليهودى التقى أن يفعله عندما يرى إنسانًا يغرق فى البحر أو سقط فى بئر؟ والإجابة التلمودية تقول، والتى لا تزال مقبولة من اليهود التقليديين، أن ذلك يعتمد على: إلى من ينتمى هذا الإنسان؟ فإذا كان يهوديًا ورعًا أو مذنبًا بجرائم عادية، فإنه يجب أن يتم إنقاذه، أما إذا كان غير يهودى، أو يهودى «يرعى الأغنام والماعز» وهو تصنيف بطل استخدامه بعد الأزمنة التلمودية، فإنه يجب ألا ينقذ، وألا يدفع إلى البحر أو البئر. ومع ذلك إذا كان الشخص مهرطقًا يهوديًا فإنه يجب أن يدفع فى البحر أو البئر، وإذا كان بالفعل داخلهما فإنه يجب ألا ينقذ. وهذا الشرط القانونى على الرغم من حذفه بواسطة الرقابة فى بعض طبعات التلمود وفى معظم الترجمات، فإنه يظهر فى «تراكتات عفودا زارا» ـ ص ٢٦أ ـ ب.**

أوضح ميمون أيضًا هذا الشرط فى ثلاثة مواضع: فى «قوانين القتل والحفاظ على الحياة»، حيث قارن مصير غير اليهود بمصير المهرطقين اليهود، على نحو متناقض.

وفى «قوانين القتل والحفاظ على الحياة» (الفصل الرابع، الحكمان ١٠ - ١١)، كتب يقول:

«إن المهرطقين «اليهود» هم أولئك «اليهود» الذين يرتكبون الآثام عامدين، حتى لو كانوا يأكلون لحمًا غير مذبوح حسب الشريعة، أو يرتدون ملابس شعتانيز «مصنوعة من الكتان المغزول مع الصوف» فإنهم يعتبرون مهرطقين «مثلهم مثل» أولئك «اليهود» الذين ينكرون التوراة والنبوة. فيجب أن يقتلوا. فإذا كان «اليهودى» لديه المقدرة على قتلهم بالسيف يجب عليه أن يفعل، ولكن إذا لم تكن لديه المقدرة على فعل ذلك فإنه يجب أن يستخدم معهم الحيلة حتى يتسبب فى موتهم.. كيف؟ فإذا شاهد أحدهم يسقط فى بئر وكان هناك سلم داخل البئر، فإنه «يجب» عليه أن يسحبه ويقول: «إننى أحتاج إليه لكى يهبط عليه ابنى من السطح» أو يقول أشياء مشابهة. أما غير اليهود الذين ليسوا فى حالة حرب معنا ورعاة الأغنام والماعز اليهود والأشخاص المماثلون فإننا يجب ألا نتسبب فى موتهم، على الرغم من أننا محرم علينا إنقاذهم إذا كانوا مشرفين على الموت. فإذا شوهد أحدهم على سبيل المثال يسقط فى البحر، فإنه يجب ألا ينقذ فكما هو مكتوب: «لا ترتكب ما يعرض حياة جارك للخطر» (لاويين ١٩:١٦) ولكن «غير اليهودى» ليس جارك».

فى «قوانين الوثنية» الفصل الثانى الحكم ٥، يقول ميمون:

«إن اليهود الذين يعبدون الأوثان يعتبرون غير يهود على النقيض من

اليهود الذين يرتكبون إثمًا آخر يعاقب عليه بالرجم، فإذا تحول اليهودى إلى الوثنية فإنه يعتبر منكرًا للتوراة».

واليهود المهرطقون لا يعتبرون يهودًا بأى مقياس من المقاييس. ويجب ألا تقبل توبتهم. فكما هو مكتوب «كل من دخل إليها لا يئوب ولا يبلغون سبل الحياة»- الأمثال ٢ : ١٩.

«وتلك الآية تشير إلى الرجال الذين يترددون على «امرأة غريبة» أى عاهرة.

وفيما يتعلق بالمهرطقين الذين يتبعون أفكارهم ويتكلمون على نحو أحمق فإنك يجب ألا تتحدث معهم أو تجيب عليهم، فكما قلنا من قبل فإنهم فى النهاية سوف ينكرون الأجزاء الأكثر أهمية من الديانة اليهودية بكل إثم وكبر، ويقولون إنهم لا يرتكبون إثمًا. وكما هو مكتوب «ابعد طريقك عنها، ولا تقرب إلى باب بيتها» -الأمثال ٥ : ٨.

مرة أخرى تشير الآية الأخيرة إلى الرجال الذين «يترددون على امرأة غريبة»، بمعنى عاهرة. ويقول المعلقون الذين فسروا هذه الفقرة إن المقصود هو أن اليهودى الوثنى التائب تقبل توبته من المجتمع اليهودى، أما المهرطق فلا. ومع ذلك فإن المهرطق الذى يريد التوبة يمكنه أن يفعل ذلك بمفرده، وفى الفصل العاشر الحكم ١ من «قوانين الوثنية» بعد أن أشار ميمون إلى اقتلاع الكنعانيين القدماء والتأكيد على وجوب عدم قتل أى يهودى، قال: «**كل ذلك ينطبق على الأمم «الكنعانية»** السبعة،

ولكن اليهود الوشاة والمهرطقين يجب أن يقتلعوا بأيدينا وأن يلقى بهم فى الجحيم؛ لأنهم يزيدون من متاعب اليـهود من خلال عدم إخلاص قلوبهم لله، كما فعل صادوق وبيتوس «مؤسسـا الطائفة الصادوقية» وتلاميذهما. لعنهم الله جمـيعًا». وفى الحكم التالى، أكد ميمون على أن غير اليهود يجب أن لا يتم علاجهم بواسطة اليهود إلا فى حالة احتمال وجود خطر من جراء ذلك. وفى «القوانين الجوهرية للتوراة»، الباب الأول، الفصل السادس، الحكم الثامن، يقول ميمون بعد تأكيده على أن اليهود محرم عليهم حرق أو إتلاف أى نص مقدس أو أية كتابة عبرية تحتوى على الأسماء السبعة المقدسة لله:

«إذا كتب أى يهودى مهرطق أى نص من نصوص التوراة فإنه يجب أن يحرق مع الأسماء السبعة المقدسة لله؛ لأن المهرطق لا يؤمن بقداسة الله، كما أنه لم يكتبه من أجل الله، ولكنه فكر فيه مثل أى كتاب آخر. وعلى ذلك فإن الله لا يمجد فيه، ويجب حرق هذا النص حتى لا يكون هناك أى ذكر للمهرطقين ولا لصنائعهم، ولكن نص التوراة الذى يكتب بواسطة شخص غير يهودى، يجب أن ينحى جانبًا مثل الكتب المقدسة الأخرى التى فسدت أو كتبت بواسطة غير اليهود».

وعلى الرغم من أنه لم يأمر اليهود بحرق كتب الهرطقة، فإن ميمون اعتمد فى الفقرة السابقة على الكثير من التوجيهات التى صدرت بواسطة حكماء التلمود منذ عام ١٠٠ ميلادية تقريبًا. وهذه التوجيهات طالبت بحرق الكتب التى كتبها مهرطقون، والواقع أن حكماء التلمود كانوا

obeikandl.com

يتباهون فى أزمنة معينة بحرق هذه الكتب بأنفسهم. وقوانين الهالاخاه لم تأمر بذلك، ولكن الحاخامات كثيراً ما أمروا بذلك والتاريخ اليهودى يعج بأمثلة حرق الكتب اليهودية.

وحرق الكتب إلى جانب دفنها فى المقابر وصل إلى مستوى مرتفع فى القرن الثامن عشر، وعلى الرغم من عدم ذكر ذلك إلا فى أضيق الحدود فى الكثير من الكتابات التاريخية المنحازة لليهود، وخاصة تلك المكتوبة بالإنجليزية، فإن حرق ودفن الكتب فى المقابر فى التاريخ اليهودى أكثر شيوعًا مما نجده فى تاريخى المسيحية أو الإسلام.

وتحرم اليهودية التقليدية أيضًا الأفكار المستقلة. ففى كتابه «قوانين الوثنية» الفصل الثانى الحكم ٣، بعد أن يؤكد ميمون على أن اليهودى يجب ألا يفكر فى الوثنية يواصل قائلاً: «ليس فقط محرمًا التفكير فى الوثنية ولكن من المحرم أيضًا التفكير فى أى شىء يجعل اليهودى يشك فى أى مبدأ من مبادئ الديانة اليهودى. فيجب على اليهودى أن يحذر وصول أى من هذه الأفكار إلى وعيه. إننا يجب ألا نفكر فى هذا الاتجاه كما أننا يجب ألا نسمح لأنفسنا بأن ننساق وراء تأملات القلب؛ لأن فهم الإنسان محدود وليس كل رأى موجه نحو سويداء الحقيقة. فإذا سمح اليهودى لنفسه بأن يتبع أفكاره المستقلة، فإنه بالتأكيد سوف يدمر العالم بسبب عدم فهمه الكافى. كيف ذلك؟ إنه فى بعض الأحيان قد ينجذب إلى الوثنية، وأحيانًا يفكر فى وحدانية الله، وأحيانًا فى أنه موجود، وأحيانًا أخرى فى أنه غير موجود، وأحيانًا يفكر فيما هو فى السماء،

وأحيانًا يفكر فيما هو فى الأرض، وما هو قبل «خلق العالم» وما هو بعد «نهاية العالم». وربما يفكر فى مدى صحة النبوة، وهل التوراة من عند الله أم لا؟ ولأن هؤلاء الأشخاص لا يدركون المنطق الصحيح الذى يجب أن يستخدم للوصول للحقيقة الفعلية، فإنهم يصبحون مهرطقين، (وهذا هو ما حذرت منه التوراة. فكما هو مكتوب: «ولا تغوون أنفسكم باتباع شهوات قلوبكم وعيونكم» -العدد ١٥ : ٣٩.

هذه الفقرة مدرجة فى الفقرة الثالثة من «كريات شامة»، وهى إحدى أقدس الصلوات اليهودية التى تتلى يوميًا فى الصباح وفى المساء، وهذا يعنى أن كل يهودى ممنوع من أن يسمح لنفسه بأن يتبع معرفته القاصرة أو يتخيل أن أفكاره قادرة على الوصول به للحقيقة. وقال الحكماء: إن «قلوبكم» تعنى الهرطقة، و«عيونكم» تعنى الفسق. وهذا الحظر على الرغم من أنه إثم يحرم اليهودى من دخول الجنة، فإنه لا يستوجب عقوبة الجلد (لأنها توقع فقط على من يقوم بفعل ملموس).

وهذه المحظورات المتعلقة بتحريم أى تفكير مستقل (وهو ما يطبقه بعض الحريديم على بعض كتابات ميمون نفسه)، كانت شائعة فى يهودية ما بعد التلمود، واستمرت حتى اليوم فى جزء من اليهودية الأرثوذكسية. فاليهودية الأرثوذكسية تحرم أى تفكير مستقل يتعلق بالقضايا التى ناقشها بحرية القديس أوغسطين، بصرف النظر عن الإجابات التى قدمها، والواقع أن هذه القضايا لا يتم التطرق إليها اليوم بواسطة باحثى اليهودية الأرثوذكسية. والكثير من المشاكل اللاهوتية التى

ناقشها بصراحة توما الإكويني كانت وستظل غير قابلة للتفكير فيها في اليهودية التقليدية. (تشمل اليهودية التقليدية اليوم ليس فقط الأرثوذكسي، ولكن أيضًا الكثير من اليهود المحافظين). ومما يثير الدهشة أن الكثير من الأشخاص وخاصة في الدول التي تتحدث الإنجليزية، مازالوا ينسبون إلى يهودية ما بعد التلمود، التميز الثقافي الذي تحقق في العديد من الدول على يد الكثير من اليهود في المائة والخمسين عامًا المنصرمة. وساهم هذا الوهم في انتشار اليهودية الأصولية. والواقع أن العكس هو الصحيح. فمعظم اليهود الذين حققوا تميزًا فكريًا كانوا متأثرين بالتمرد على هذا النمط من النظم الشمولية، وأنكروا الكثير من معتقداته الأساسية.

بالإضافة إلى التأكيد على قتل المهرطقين ما دام ذلك ممكنًا من خلال استخدام وسيلة أو أخرى، فإن اليهودية التقليدية أوصت بأن يعامل المهرطقون الذين على قيد الحياة معاملة أسوأ من تلك التي يعامل بها غير اليهود أو اليهود الذين تحولوا إلى دين آخر. وأحد الأمثلة المهمة من الناحية الاجتماعية لهذه المعاملة، هو ذلك التوجيه المتعلق بدفن جثة المهرطق، والطقوس التي تقوم بها العائلة بعد الدفن. فبينما تسمح اليهودية التقليدية، وفي بعض الأحيان تحض على دفن معظم اليهود الآثمين، فإنها تحرم دفن اليهود المهرطقين وبعض فئات اليهود الآثمين. ويناقش «تراكتات الترومون من التلمود الفلسطيني»، الفصل الثامن، هالاخاه ٣، موضوع الجزار اليهودي في مدينة تسيبورى بالجليل الذي

باع لحمًا غير كوشير (ليس حلالاً وفقًا للشريعة اليهودية). فهذا الجزار سقط من أحد الأسطح ومات. فقام الحاخام حنانيا بار حاما، أحد حكماء أوائل القرن الثالث الميلادى بتشجيع اليهود فى المدينة على ترك جثته لكى تنهشها الكلاب. وهذا السلوك كان غير مقبول عادة، حيث إن هناك حاخامات آخرين كانوا أكثر اعتدالاً. فكان ميمون وحاخامات آخرون جاءوا من بعده، يقنعون بمنع أسرة المهرطق من الحداد بعد موته وأمرها بالابتهاج. وتحدث ميمون عن ذلك بوضوح فى كتابه «قوانين الحداد»، الفصل الأول، الحكم ١٠ :

«إن كل أولئك الذين يفصلون أنفسهم عن الطقوس العامة (لليهود)، مثل أولئك الذين لا يؤدون الفروض أو لا يحتفلون بالأعياد أو لا يترددون على دور العبادة أو يحضرون الدروس،ولكنهم يعتبرون أنفسهم أحراراً ويتصرفون مثل الأمم الأخرى، والمهرطقون والمتحولون إلى أديان أخرى،والوشاة، يجب ألا يكون هناك حداد عليهم، وعندما يموتون فإن أشقاءهم وسائر أقاربهم يجب أن يرتدوا الملابس البيضاء ويقيموا الولائم ويبتهجوا؛ لأن أولئك الذين يكرهون الرب تبارك اسمه، قد هلكوا».

اتبع معظم اليهود حكم ميمون بقوة حتى بداية التحديث اليهودى، وبعض اليهود الأرثوذكس يتبعونها حتى اليوم. وفى المدن الصغيرة فى شرق أوروبا فى القرن التاسع عشر ابتكر اليهود عادة أخرى، وهى إهانة دفن المهرطقين واليهود الآثمين الآخرين، وهذه العادة التى ذكرت غالبًا فى الكتابات العبرية واليديشية المعاصرة، كان يطلق عليها «دفن الحمار»،

وقد اشتقت من إحدى آيات الكتاب المقدس (إرميا ٢٢ : ١٩) حيث يتنبأ النبى بأن يهوياقيم ملك يهوذا «بل يدفن دفن حمار».

وهذه العادة تتكون من ثلاثة عناصر عامة. أولاً، يقوم أعضاء جمعية الدفن اليهودية، وتسمى الجمعية المقدسة، وتتكون من الأفراد الأكثر حماسة بالمدينة، بضرب جثمان المهرطق، وبعد ذلك توضع الجثة على عربة مليئة بالروث وتسير فى شوارع المدينة. وفى النهاية يتم دفن الجثة خارج المقابر دون أى طقوس دينية.

والمصطلحان «دفن الحمار» و«خارج المقابر» أصبحا شائعين فى العبرية واليهودية وما زالا يستخدمان للإشارة إلى النبذ الاجتماعى، وقام الكاتب اليهودى الشهير بيرتس سمولنسكن (١٨٨٥ـ٤٠م) بتأليف رواية عبرية بعنوان «دفن الحمار»، ولا تزال متداولة. ويحكى سمولنسكن فى روايته عن شاب يهودى يعيش فى إحدى المدن الروسية الصغيرة، تم اعتباره مهرطقًا بسبب شجار تافه نشب بينه وبين رئيس جمعية الدفن اليهودى. وقامت الأبرشية اليهودية باستئجار قاتل قام باغتيال المهرطق. وتم دفنه «دفن الحمار». ويعتبر سمولنسكن الأب الروحى للأسلوب الطبيعى فى الأدب العبرى. وتعتمد رواياته على الوصف الدقيق للحياة اليهودية فى الزمن الذى عاش فيه.

اختلف العالمون ببواطن الديانة اليهودية حول تعريف المهرطق. فحكماء التلمود عددوا أنواعًا عديدة من المهرطقين أسموهم أسماء

مختلفة. ويؤكد التلمود على نوع واحد من المهرطقين يسمى «الأبيقورى» وهو يشير إلى أتباع الفيلسوف اليونانى أبيقور (الذى كان يقول بأن اللذة هى الخير الوحيد فى الحياة). وفى (تركتات سانهدرين)، ص ٩٩ ب من التلمود، كان الأبيقورى يرمز إلى كل اليهود الذين لا يحترمون الحاخامات، وأكد أحد حكماء التلمود أن اليهودى الذى لا يحترم يهوديًا آخر فى وجود حاخام يعتبر مهرطقًا. وقال الحاخام مناحم هاميرى، فى تعليقه على الفقرة السابقة، إن اليهودى الذى ينادى حاخامًا باسمه دون استخدام لقبه الشرفى يعتبر مهرطقًا.

وكان الرأى السائد حتى القرن الثانى عشر هو أن اليهود الذين لا يحترمون الحاخامات ليسوا مهرطقين، ولكنهم «يشبهون المهرطقين». فالمهرطقون الحقيقيون هم أولئك الذين كانوا ينكرون صلاحية التلمود كحجة دينية. وهذا التعريف لم يقلل من عقاب المهرطقين والآثمين الآخرين حينما يكون ذلك ممكنًا فى ظل قوانين الطوارئ. وأدى هذا التعريف إلى الحد من الواجب المفروض بواسطة التلمود، والخاص بعزل الكثير من اليهود الذين يدفعون الضرائب، عن المؤسسة الدينية. ففى النصف الأول من القرن العشرين، أعلن حاخامان شهيران وهما الحاخام حازون إيش والحاخام كوك الأكبر أن الأحكام المتعلقة بالمهرطقين «لا تطبق؛ لأن المعجزات المرئية لا تحدث». ومن الصعب تحديد إلى أى مدى يتم اتباع هذا الرأى اليوم. ومع ذلك سوف نركز فى هذه النقطة من مناقشتنا على الأزمنة قبل المعاصرة.

تبدأ مراجعتنا للعقـوبات المطبقة فى ظل قوانين الطوارئ اليهودية على المهرطقين اليهود والآثمين الآخرين، ببـيان الحاخامات اليهود الذين كانت -ولا تزال- مـرجعـيـتهم مـعتـرفًـا بها. وهؤلاء الحـاخـامات كـانوا نظار اليـشيـڤوت «المدارس الدينية» فى العراق حـتى حوالى عام ١٠٥٠م وكان يطلق عليـهم اسم «الجاعـونيم». (وهى تشيـر إلى جمع كـلمة «جـاعون» والتى تعنى فى العبرية «العبقرى»).

وخلَّف الجاعونيم الكثير من الإجابات عن الأسئلة التى وجهت إليهم من كل بقاع العالم اليهودى. وهذه الأسئلة كانت تتعلق بكيفية تصرف اليهود، وخاصة المجتمعات اليهودية. وفى كتابه الذى أشرنا إليه من قبل، استشهد الحاخام سمحة عساف (١٩٢٢م)، بمجموعة من هذه الإجابات، والتى تقول بأن اليهودى الذى ينتهك السبت يجب أن يجلد وأن تحلق رأسه (ص٤٥). وأجاب الحاخام بالتوى جاعون كما أشار عساف، عن السؤال الأكثر صعوبة الذى يقول: هل تجب معاقبة اليهودى الذى يرتكب إثمًا يوم السبت أو فى أحد الأعياد الدينية بالجلد فى نفس اليوم المقدس إذا كان هناك خطر يتمثل فى احتمال هروبه قبل أن ينتهى السبت أو يوم العيد الدينى؟ وأجاب الحاخام بالتوى من خلال تذكير من سألوه بأن المؤسسة الدينية لديها سجن خاص بها، وأن هذا الآثم يمكن سجنه يوم السبت أو يوم العيد الدينى، ويتم جلده بعد ذلك فى وقت لاحق. ومع ذلك توصل الحاخام بالتوى إلى أن قدسية يوم السبت لا تحول دون جلد اليهودى الآثم «عساف، ص ٤٨» أما الحاخام

تسيماخ جاعون، الذى عاش بعد الحاخام بالتوى، فسأل عما يجب فعله تجاه الكاهن اليهودى الذى تزوج امرأة مطلقة، وهو أمر محرم على الكهنة، كما قال عساف «ص ٥٢». عبر الحاخام تسيماخ جاعون عن خوفه من أن هذا الآثم إذا جلد فقط فإنه ربما يذهب إلى مكان آخر، وأثناء الطقوس الدينية قد يقوم بالمشاركة فى مباركة الكاهن ببسط يده فوق رءوس أعضاء المؤسسة الدينية وأصابعه منفرجة، وأمر الحاخام تسيماخ جاعون بأن يتم قطع العقل الأخيرة من أصابع يديه، بحيث يتم التعرف عليه ولا يسمح له بالمشاركة فى المباركة. أما الحاخام الجاعونى الأخير والأكثر شهرة فهو الحاخام هائى، الذى توفى عام ١٠٤٢م، وخصص إجابة مستفيضة لشرح كيفية جلد اليهود الآثمين فى ذلك الوقت، وأسهب على وجه الخصوص فى شرح كيفية حدوث ذلك من خلال محكمته. وأكد على أن السوط كان يصنع من خيوط القنب، وكان ذا سمك خاص للآثمين الأسوأ. وكان يتم ربط الآثم بحيث «تكون اليد اليمنى مثبتة فى القدم اليمنى واليد اليسرى فى القدم اليسرى»، ويقف من يقوم بجلده بالقرب من رأسه. وتبدأ الطقوس بتلاوة الآيات المناسبة من الكتاب المقدس. وبعد الجلد يقف المذنب عاريًا وملابسه فى يده ويعترف بعدالة عقوبته، وفى النهاية تسأل المحكمة الله أن يعفو عنه. وفى إجابات أخرى استشهد بها عساف فى الصفحتين ٥٦ و٥٧ حدد الحاخام هائى الآثام التى يجب جلد اليهود من أجلها: حلق الشعر أثناء الأعياد الدينية القصيرة، وارتداء الأحذية أثناء فترات الحداد ،وانتهاك حرمة السبت، هى

ثلاثة أمثلة لذلك. ويشير عساف أيضًا فى صفحتى ٥٨ و٥٩ إلى أن هناك ردودًا أخرى فى القرن الحادى عشر تقدم دلائل على أن يهود مصر كانوا يجلدون الآثمين أمام أبواب المعابد الدينية، وأن حاخامات إيطاليا بسبب التشوش السياسى العام والاستقلال اليهودى الأكبر، كان بإمكانهم إعدام الآثمين، وقاموا بذلك بالفعل. وسجل عساف بالفعل العديد من عقوبات الإعدام التى قام بها الحاخام البابلى أبو أهارون الذى هاجر إلى إيطاليا. فعلى سبيل المثال قام الحاخام أبو أهارون بعقاب أحد الزناة بالشنق، وعقاب شخص ارتكب جريمة زنا المحارم مع أم زوجته بالحرق. وقام عساف بتوضيح مدى التوسع فى الجلد من خلال الإشارة إلى أن هناك حاخامًا إيطاليًا مجهولاً قال بأنه إذا كان هناك يهودى يعيش فى منزل مع يهود آخرين وقام ببيع غرفته إلى شخص غير يهودى فإنه يجب أن يجلد.

فى إسپانيا سواء فى ظل الحكم الإسلامى أو المسيحى، ازداد استقلال اليهود، وبالتالى فإن العقوبات الخاصة باليهود الآثمين تطورت وتم تسجيل أكبر عدد منها، وفى ص ٢٦ استشهد عساف بالحاخام صموئيل الأمير، الذى توفى عام ١٠٤٦م: «فاليهود الإسپان كانوا دائمًا بعيدين عن الهرطقة، باستثناء بعض القرى بالقرب من المناطق المسيحية، حيث كانت الشكوك تراود بعض المهرطقين سرًا. وقام أسلافنا بجلد بعض هؤلاء اليهود الذين استحقوا الجلد، والذين ماتوا بسبب ذلك». وأصر الحاخام هائى كما ذكرنا من قبل على أن اليهود الذين يتم جلدهم يجب أن يعترفوا بعدالة العقوبة التى أنزلت بهم وأن يتوبوا. وأوضح الحاخام

هائى والعديد من الحاخامات الآخرين أن رفض التوبة يستلزم المزيد من الجلد حتى الموت .

وقد ظلت إسپانيا «خالية من الهرطقة» على الأقل جزئيّا ؛ لأن المهرطقين كانوا يجلدون حتى الموت، وتباهى الحاخام صموئيل بذلك . تأكد إلى حد ما، تبعًا لعساف فى ص ٦٣، من خلال قصة الفيلسوف والمؤرخ اليهودى الحاخام أفراهام بن داود الذى أوضح فى كتابه المسمى شلشليت هاقبالاه «سلسلة التقاليد»، كيف أن القرائين، عندما بدأوا فى الانتشار، أهينوا وطردوا من كل مدن قشتالة إلا واحدة، وفى وقت لاحق بعد وفاة الحاخام داود، قام ميمون بتخفيف عقوبة الجلد. وفى شروحه للمشناه «وهو الجزء الأساسى والأسهل من التلمود ، ويشرح لوحده، كما يحتوى على بعض التعليقات»، تراكتات كهولين، والمستشهد به لدى عساف فى ص ٦٤، أشار ميمون إلى أن اليهود الذين يرتكبون آثامًا تستوجب عقوبة الإعدام «يتم الآن جلدهم فقط وينبذون، ولكن هذا النبذ يجب ألا يرفع عنهم أبدًا» .

والآثام اليهودية التى يجب أن يعاقب عليها بأغلظ عقوبة، بخلاف الوشاية التى سوف تتم مناقشتها على نحو منفصل، تتمثل فى عدم الرضوخ لمشيئة الحاخامات أو الاعتداء البدنى عليهم، وهذه التصرفات ليست نادرة الحدوث. وقام عساف فى ص ٦٧ بالاستشهاد بردود حاخام القرن الثالث عشر شلومو بن غدريت، حاخام برشلونة الشهير، الذى أفرغ جهده ليوضح أن أى حاخام «هو وشيوخ اليهود» يمكنه أن يعاقب

obeikandi.com

اليهود الذين يعترضون على سلطة الحاخام و«المشهورين بآثامهم»، ليس فقط بالجلد ولكن بعقوبات أشد مثل قطع أيديهم أو أقدامهم أو قتلهم. وعالجت الكثير من الردود الأخرى بالتفصيل هذه العقوبات الصارمة، وأشار عساف فى ص ٧٢ إلى أن الحاخام آشر كان غاضبًا من الحاخام موشيه حاخام مدينة ڤالنسيا بسبب حكمه المخالف لإحدى العادات السائدة والتى تخضع لسلطة آشر، والمتعلقة بالتزام يوم السبت. فمن طليطلة كتب الحاخام آشر إلى الحاخام إسحاق فى ڤالنسيا وأمره بأن يحكم على الحاخام موشيه بالإعدام ما لم يتب بعد أن يغرم وينبذ. كما قام الحاخام آشر أيضًا بتناول الجانب المالى الخاص بعقوبة الإعدام، ففى ردوده على «المجتمع المقدس فى أڤيلا»، كما أشار عساف فى ص ٧٤، بأن إعدام الآثم يماثل تشييد أسوار المدينة، فالإعدام يدافع عن طهارة اليهودية، كما تقوم الأسوار بحماية المدينة، ولذلك كما يجب على كل يهودى دفع الضرائب لصيانة أسوار المدينة، فإن كل يهودى ملزم بالدفع من أجل إعدام اليهود الآثمين.

ومثالنا الأخير من إسپانيا هو ملخص ردود الحاخام يهودا، ابن الحاخام آشر. وهذه الردود المستشهد بها بواسطة عساف فى ص ٧٧ مهمة، ليس فقط لأنها وثائق تسجل استخدام العنف، ولكن لأنها تصف الإجراءات المعتادة فى حالات الطوارئ لعمليات اتخاذ القرارات الهالاخيه فى القضايا التى تعرض على المحكمة الحاخامية. والشرح

التفصيلى لمنطق قانون الطوارئ اليهودى المختلف كلية عن الهالاخاه، يتضح جيداً فى هذه الردود.

والركيزة الأساسية لإجراءات الهالاخاه المعتادة، القائمة على الكتاب المقدس والمستخدمة فى كل القضايا المنظورة أمام المحكمة الحاخامية مع عدم وجود المستندات المكتوبة التى تستخدم فقط فى القضايا المدنية، هى أن حكمًا يجب أن يعتمد على شهادة شاهدين أو أكثر من اليهود الذكور وشهادة كل شاهد من الشاهدين يجب أن تتطابق تمامًا. وفى أحد الأمثلة التوضيحية، قام الحاخام يهودا بالاستشهاد بقضية أحد اليهود الذى اعتدى على يهودى آخر بالضرب بقسوة حتى مات. ورأى شاهدان، موشيه وإبراهام، واقعة الضرب. ورأى شاهدان آخران، يوسف وإسحاق، بداية الضرب، ثم غادرا المكان وبعد أن عادا شاهدا الشخص الذى تعرض للضرب ملقى على الأرض والدماء تسيل من رأسه. وبعد أن شكر الله «الذى ألهم ملوك الأرض أن يمنحوا اليهود سلطة الحكم، كما نحكم الآن»، أوضح الحاخام يهودا أن أحكام القانون اليهودى الحالى، والتى ليست جميعها تابعة للهالاخاه، يجب أن تطبق فى القضية المنظورة. وقرر الحاخام يهودا كما استشهد به عساف ما يلى:

«إذا وجدنا أن شهادة موشيه وإبراهام هى الشهادة الصحيحة، فإن المتهم يجب أن يعدم، وإذا وجدنا أن شهادة أحدهما صحيحة ووجدنا أن شهادة يوسف أو إسحاق صحيحة، فإن يدى المتهم يجب أن تقطع، وإذا وجدنا أن شهادة موشيه أو إبراهام صحيحة ولكن شهادة كل من يوسف

وإسحاق غير صحيحة فإنه يجب قطع اليد اليمنى للمتهم، أما إذا وجدت شهادة كل من موشيه وإسحاق غير صحيحة، ولكن شهادة كل من يوسف وإسحاق صحيحة، فإنه يجب قطع اليد اليسرى للمتهم. وإذا وجد أن كل الشهادات غير صالحة، فإن المتهم يجب أن ينفى من المدينة لأن مسألة قتله «للضحية» أصبحت شائعة».

فى دول أوروبية أخرى، كان الاستقلال اليهودى وعواقبه أقل قوة مما كان عليه فى إسپانيا. وربما يرجع ذلك إلى أن الدول الأخرى، على الرغم من طبيعتها الإقطاعية، كانت أقوى من الممالك الإسپانية قبل الجزء الأخير من القرن الخامس عشر. وفى إنجلترا، حيث كانت السلطة الملكية قوية بشكل خاص، وحيث استوطن اليهود إنجلترا فقط بعد غزوها بواسطة ويليام الأول، لم تكن هناك، بقدر علمنا، أى حالات جلد أو عقاب لليهود بسبب جرائم دينية. وفى باقى دول أوروبا، حيث كان الاستقلال اليهودى يعتمد على ملاك الأراضى الإقطاعيين أكثر من اعتماده على الملك أو الإمبراطور، كان هناك عدد أكبر من الحالات. على سبيل المثال، فى ألمانيا القرن الرابع عشر سجل الحاخام الشهير يوسف ويل تبعًا لعساف فى ص ١٠٢، فى كتابه الخاص بالردود أن الحاخام شيمون من بلدة «براونسشقيج» سأله عما إذا كان يجوز فقء عينى يهودى قام بانتهاك حرمة السبت ويوم كيبور «عيد الغفران». وأجاب الحاخام ويل بأن ذلك جائز، وأشار إلى الدليل على ذلك من التلمود. وفى حالة أخرى كما جاء لدى عساف ص ١٠٤، أمر الحاخام تام، الذى

كان يعيش فى شمال فرنسا فى القرن الثانى عشر بأنه فى حالة قيام يهودى بضرب يهودى آخر فإنه يجب أن يعاقب بقطع يده وليس الجلد. وأورد عساف فى ص ١٠٣ أن حاخامًا آخر رأى أباه ينزل عقوبة الجلد بأحد الآثمين. وكان الجلد يستخدم على نحو شائع فى ألمانيا كعقاب للآثام الدينية الأقل، وكان قطع الأطراف يعتبر مسألة نادرة الحدوث. وحتى استخدام عقوبة الجلد تناقص مع مرور الوقت، وكانت الغرامة والنبذ والصيام الإجبارى تستخدم بواسطة اليهود الألمان باعتبارها العقوبات الوحيدة.

وفى الدول الواقعة شرق ألمانيا وخاصة فى پولندا وبعد عام ١٥٦٩م فى الكومنولث الپولندى - الليتوانى حيث كان الاستقلال اليهودى واسعًا، كانت العقوبات التى يطبقها الحاخامات توازى تلك التى كانت تطبق فى إسپانيا. وكل مجتمع يهودى كان لديه السجن الخاص به وأدوات التعذيب الخاصة به، والتى كانت تسمى باليديشيه «كونيه»، وكانت توضع أمام أبواب المعابد الكبرى، وكانت تتكون من قضبان حديدية لتقييد ذراعى المذنب لكى تجبره على الوقوف فى مواجهة المترددين على المعبد الذين قد يبصقون عليه أو يصفعونه أو يلطمون وجهه أو يلحقون به أى أذى بدنى آخر. وكان الجلد يمارس بحرية فى المعبد، وخاصة أثناء تلاوة صلاة الصباح. ويشير عساف فى ص ١٢٢ إلى أن حاخام القرن السادس عشر الشهير شلومو لوريا، أكد لسائليه أن المذنب الذى يجلد جيدًا لا يعود إلى الذنب مرة أخرى، وأن عدد

الجلدات يجب أن يتحدد بواسطة المحكمة على نحو يتواءم مع الذنب. وفى الجرائم الخطيرة كان يحكم بالبتر والموت. وفى الجيل اللاحق على جيل الحاخام شلومو لوريا، كتب حاخام شهير آخر وهو الحاخام ماهرام مائير من لوبلين، تبعًا لعساف فى ص ١٢٣، عن قاتل يهودى قبض عليه بواسطة السلطات البولندية. أصر ماهرام على وجوب إعدام القاتل بواسطة السلطات الحاخامية أو السلطات البولندية. وحذر ماهرام الحاخامات من استبدال البتر بالإعدام:

«إننى أتذكر ما حدث عندما كنت صغيراً، فى زمن الحاخام شيخنا آر. آى. بى، ففى ذلك الوقت كان هناك يهودى شرير إلى أقصى حد، وأمر الحاخام الأعظم باقتلاع عينيه وقطع لسانه، وبعد حدوث ذلك تحول إلى المسيحية وتزوج من امرأة غير يهودية وأنجب أطفالاً. وكان هو وأفراد أسرته دائمًا أعداءً لليهود».

فى القرن السابع عشر كان التشويه «أو البتر» كعقاب، بدلاً من الموت أو الجلد، ينزع إلى الاختفاء بين يهود الكومنولث البولندى ـ الليتوانى. وظهر النفى من المدينة كعقاب جديد. وكان يمكن للمجتمع اليهودى المستقل فى مدينة معينة أن يحدد أى اليهود يمكنهم الإقامة فى المدينة، وكان حق الإقامة يمنح تلقائيّا لأطفال المقيمين القدامى ولزوجاتهم وللحاخامات. وكل اليهود الآخرين كان يجب عليهم التقدم بطلب إلى سلطات المجتمع، وبعد دفع الرسوم لمدة معينة يحصلون على حق الإقامة. وكانت إحدى أقسى العقوبات التى يمكن للمجتمع اليهودى

الحكم بها هى النفى ؛ لأن اليهود المنفيين كانوا يجدون صعوبة كبيرة فى الحصول على حق الإقامة فى مكان آخر . ومع ذلك فإن هذه العقوبة كانت تستخدم على نحو متزايد فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وحينما قامت روسيا وبروسيا والنمسا بعد ذلك بتقسيم پولندا، فإن هذه القوى المنتصرة الثلاثة قامت بتقييد استقلال المجتمعات اليهودية ومنعتها من طرد أعضائها من المدن .

وكان النفى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر يتم على نحو فورى، بصرف النظر عن وقت حدوث ذلك من أوقات السنة، وكان يستخدم كسلاح فى النزاعات الدينية، مثل النزاع بين الحسيديين وخصومهم من الميتناجديم، وتبعًا لما أورده عساف فى ص ١٢٧، أمر اتحاد المؤسسات الدينية فى ليتوانيا بالطرد الفورى من المدينة، بالإضافة إلى العقاب البدنى والغرامة المالية لأى يهودى «يتعامل مع الحاخامات بازدراء» .

وفى قرار آخر أصدر اتحاد المؤسسات الدينية أمرًا بطرد اليهود الذين تم طردهم فى السابق من مدينة أخرى . وكان اليهود المطرودون يجبرون على توقيع وثيقة، شبيهة بتلك التى أوردها عساف فى ص ١٣٢ من مدينة كراكاو، تنص على أنهم إذا ظلوا فى المدينة ولو حتى لليلة واحدة فإنهم يجب أن يقبلوا بأى عقوبة تطبق عليهم بواسطة زعماء المجتمع، بما فى ذلك «بتر الأذن أو الأنف أو أى عضو آخر» . وفى حالة أخرى استشهد بها عساف تم الحكم على يهودى طرد من مدينة كراكاو بسبب

اشتراكه فى سرقة منزل أحد الأثرياء ، بأن يجلد أمام باب أحد المعابد ، وكان عليه أن يوقع على تعهد ينص على أنه إذا وجد فى مدينة كراكاو مرة أخرى فإنه يعلم أن «أذنيه سوف تقطعان بالإضافة إلى عقوبات أخرى» .

وكانت آلة التعذيب تستخدم أيضًا فى هذه الحقبة الزمنية كعقاب للمهرطقين على وجه الخصوص، ولكنها كانت تستعمل أيضًا فى عقاب المذنبين الذين يرتكبون جرائم صغيرة. وفى عام ١٧٧٢م، حينما بدأ زعماء المجتمع اليهودى فى «ڤيلنا» صراعهم ضد الحركة الحسيدية فإنهم عاقبوا الحسيديين أولاً فى مدينتهم، وقبل عشية صلاة السبت كانت كل الكتابات الحسيدية قد أحرقت بالقرب من أداة التعذيب، بحيث يرى كل رواد المعبد الرماد حينما يتطاير فى الهواء. وقبل حرق زعيم حسيدى «ڤيلنا»، مائير إيسار، تم جلده بشكل خاص فى «قاعة المجتمع». وبعد الجلد كان عليه أن يعترف بذنوبه، وذلك تبعًا للصيغة التى أعدتها المحكمة الحاخامية فى المعبد أثناء صلوات صباح السبت.. وبعد ذلك تم سجنه لمدة أسبوع فى قلعة ڤيلنا، وأراد الحاخام إلياهو رئيس السلطة الحاخامية الأعلى بمدينة ڤيلنا فى ذلك الوقت، وضعه على آلة التعذيب ولكن زعماء المجتمع اليهودى رفضوا ذلك، ربما بسبب أهمية عائلة إيسار. وهذه القصة التى أوردها عساف ص ١٣٩ موجودة بالتفصيل فى التاريخ المكتوب بالعبرية لهذه الفترة.

وقصة مائير إيسار تعتبر مثالاً نموذجيًا للاضطهاد الممارس بواسطة السلطات الدينية اليهودية فى أوروبا الشرقية ضد أحد المنشقين الدينيين

اليهود فى نهاية القرن الثامن عشر ، فالتعصب والنزاعات الدينية المصحوبة بالنبذ من المجتمع ، وحرق أو دفن الكتب ، والشغب الشعبى ضد المهرطقين والمنشقين ، كانت السمة الغالبة لكثير من المجتمعات اليهودية الأوروبية خلال معظم فترات القرن الثامن عشر ، باستثناء تلك التى كانت موجودة فى إنجلترا وهولندا. ومع قرب نهاية القرن ، قلت الحماسة الدينية أولاً فى ألمانيا وإيطاليا ، وبعد ذلك فى المدن الأكبر فى أوروبا الشرقية ، واستمر ذلك أثناء معظم القرن التاسع عشر ، بين الجانب الأعظم من التجمعات اليهودية فى أوروبا الشرقية ، والتى كانت تعيش فى مدن أصغر. والغالبية العظمى من المهاجرين اليهود إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض الأماكن الأخرى فى القرن التاسع عشر جاءت من أماكن كان فيها الاضطهاد الدينى لليهود بواسطة يهود آخرين يمارس على نطاق واسع لفترة طويلة من الزمن ، ووجدت نفسها فجأة فى بلدان لا يمكن ممارسة هذا الاضطهاد فيها ، على الأقل على نفس النطاق.

ورغبة الكثير من يهود القرن الثامن عشر فى ممارسة الاضطهاد كانت تبدو أكبر من قدرتهم الفعلية على القيام بذلك ، وأحد حوادث التاريخ والمتمثلة فى هرطقة مدينة «فرانكست» والتى ظهرت فى پولندا عام ١٧٥٦م واستمرت لبضع سنوات بعد ذلك ، يقدم مثالاً واضحًا على ذلك. فحينما علم زعماء المجتمع اليهودى المستقل فى پولندا بهذه الهرطقة ، قام أحدهم وهو الحاخام باروخ اليونانى بكتابة خطاب مطول إلى صديقه الذى يعيش بألمانيا ، والذى كان أحد أعظم حاخامات جيله

وهو الحاخام يعقوب إمدين. وفى خطابه وصف الحاخام باروخ الوقائع وأهداف المجلس الرئيسى للمجتمع اليهودى الذى انعقد فى سبتمبر ١٧٥٦م بمدينة «كونستنتينوف» وكان المجلس يسمى «لجنة الأراضى الأربعة» إشارة إلى الأقاليم البولندية الرئيسية الأربعة. ووصف الحاخام باروخ تفاصيل الهرطقة وقال: إن لجنة الأراضى الأربعة قررت «عرض الأمر على السيد العظيم الذى يحكم فى شئون العقيدة المسيحية، البابا فى روما» وأن تكافح هذا الهرطقة، وكتب الحاخام باروخ أيضًا أن اللجنة طلبت «مساعدة الأساقفة البولنديين من أجل الحكم على هؤلاء الملعونين بالحرق على الخازوق». وأشار مائير بالبان المؤرخ الشهير للمجتمع اليهودى البولندى إلى أن الرغبة فى رؤية مئات «الملعونين» وهم يحرقون على الخازوق بواسطة السلطات المسيحية، التى كانت فى هذا الوقت بالذات تضطهد اليهود البولنديين، تشير إلى مدى عمق الكراهية التى كانت تشعر بها الزعامة اليهودية تجاه المنشقين.

فشلت محاولة اللجنة. ومضى الحاخام باروخ إلى أبعد من ذلك محاولاً توريط راعيه الوزير القوى برول الذى كان يتمتع بمكانة بارزة لدى الملك البولندى أغسطس الثالث، فى هذا الأمر. وأراد الحاخام باروخ من برول أن يرتب له مقابلة شخصية مع سفير الباب فى وارسو وبالتأكيد لم يكن البابا فى ذلك الوقت بنديكت الثامن عشر ليوافق على هذا الإحراق الجماعى، ولكن المنشقين على كل حال حظوا بمساعدة الأساقفة الأقوياء والشخصيات البارزة، وحتى بمساندة الكونتيسة برول

«زوجة الوزير» وكانت النتيجة هى أن الزعماء اليهود لم يستطيعوا كما أرادوا أن يمارسوا الاضطهاد.

ربما يكون من المفيد مقارنة حادث هرطقة فرانكست بما عاناه باروخ سپينوزا فى هولندا قبل ذلك بنحو مائة عام. وبسبب النظام الهولندى المتسامح نسبيّا والأكثر معاصرة، لم يستطع المجتمع اليهودى فى أمستردام سوى عزل «أو نبذ» سپينوزا. فعلى الرغم من توق أعضاء هذا المجتمع لفعل ذلك، فإنهم لم يستطيعوا جلد أو قتل سپينوزا، كما لم يستطيعوا أن يجبروه على الاعتراف علنًا فى المعبد بأنه ارتكب إثمًا من خلال تعليقاته وعباراته التى تفوه بها عن اليهودية. فكل ما استطاعه المجتمع اليهودى هو نبذ سپينوزا ومنعه من الحضور إلى المعبد. وقبل سنوات قليلة من نبذ سپينوزا، قام المجتمع اليهودى بنبذ أوريل داكوستا لأسباب مشابهة.

ومع ذلك، فإن داكوستا لم يكن لديه ذلك الثبات الذى كان لدى سپينوزا ولم يستطع الوقوف فى وجه استبعاده من المعبد ومن المجتمع اليهودى.

وطلب داكوستا من الحاخامات أن يصفحوا عنه. فعاقبوه ليس فقط بتقديم الاعتراف المعتاد، ولكنه كان مضطرًا أيضًا للرقود أمام مدخل المعبد بحيث يقوم الداخلون بوطئه بأقدامهم قبل الصلاة لله، وافق داكوستا على الشرطين، وبعد أن اعترف بذنبه وداسته الأقدام، تم الصفح عنه فى

الحال. ولكنه عاد مرة أخرى لأفكاره المهرطقة. وخوفًا من أن ينبذ من جديد وأن يحدث له شىء أسوأ من أن يداس بالأقدام باعتباره مذنبًا يعاود ارتكاب الإثم، قام بالانتحار.

المقارنة بين مصيرى سپينوزا وداكوستا تقدم درسين لليهود المعاصرين الذين لا يرغبون فى الخضوع للاستبداد السائد غالبًا بين صفوف الأرثوذكسية اليهودية:

(١) التوصل إلى حل وسط أو تسوية فكرية مع الأرثوذكسية اليهودية لا يمكن تحقيقه تمامًا، كما هو الحال مع أى نظام استبدادى.

(٢) النهج التبريرى فى تناول الماضى اليهودى، الذى هو فى الواقع عبارة عن مجرد تجميل كاذب وتزييف لجزء من التاريخ اليهودى ويهدف إلى محو الأهوال وممارسات الاضطهاد التى عاناها اليهود على أيدى زعمائهم وحاخاماتهم، لا يؤدى فى الواقع سوى إلى زيادة الأخطار الناجمة عن «الخومينية» اليهودية. ففى إسرائيل يؤدى ذلك الحل الوسط إلى زيادة الأخطار الناشئة عن احتمال هيمنة الحاخامات على المجتمع الإسرائيلى، حيث لن يترددوا فى معاقبة اليهود الآخرين، كما فعل أسلافهم الغابرون عندما لم يمنعهم أحد من فعل ذلك.

لقد رأينا أن التطبيق الرسمى والقانونى للعقوبات المغلظة كان يعتمد على مقدار الاستقلال اليهودى الذى وجد فى أماكن معينة وفى عصور معينة. وقامت روسيا وبروسيا والنمسا، كما أشرنا من قبل، بإلغاء

الاستقلال اليهودى وأخضعت اليهود للقانون الجنائى المعتاد للبلاد التى يعيشون فيها . وعلى الرغم من سوء القانون الجنائى فى ذلك الوقت، فإنه كان أفضل وأكثر إنسانية من القانون اليهودى الذى يطبقه الحاخامات . ووجدت المجتمعات اليهودية ، التى حرمت على حين غرة من سلطتها فى اضطهاد المهرطقين ، أنه من الصعب عليها أن تكيف نفسها مع الوضع الجديد .

أما رقابة الشرطة المهلهلة التى كانت توجد فى روسيا القيصرية أثناء معظم فترات القرن التاسع عشر ، فقد سمحت للسلطات اليهودية باضطهاد المجددين الدينيين من خلال أحداث شغب ، كانت أشبه بما كانوا يسمونها «المذابح» حينما ترتكب بواسطة غير اليهود ضد اليهود . وحتى عام ١٨٨١م فى روسيا كان عدد حوادث الشغب التى قام بها اليهود ضد اليهود الآخرين ربما يزيد على عدد المذابح التى قام بها غير اليهود ضد اليهود . وكان الحسيديون الذين عانوا الاضطهاد فى السابق هم أكبر وأسوأ المضطهدين ، وكانت أنشطتهم موجهة بوجه خاص ضد الصحافة العبرية الناشئة فى ذلك الوقت ، والتى ظهرت قبل الصحافة اليدشية .

واستفزت الصحافة العبرية الحسيديين بشكل أساسى من خلال الكتابة والاحتجاج على الاضطهاد الدينى الذى يمارسه الحاخامات وأتباعهم .

ومن أجل تجنب الاضطهاد من قبل مثيرى الشغب اليهود ، كانت معظم الصحف العبرية تطبع وتصدر فى سان بطرسبرج أو خلف الحدود

البروسية، حيث كانت الشرطة قوية والمجتمعات اليهودية هناك تتكون من أفراد مثقفين.

يشتمل تاريخ اليهود فى روسيا حتى عام ١٨٨١م على الكثير من اضطهاد اليهود لليهود. والمثالان الآتيان اللذان يتميز أحدهما بالكبر والآخر بالصغر يعبران عن ذلك. المثال الكبير مأخوذ من مقال طويل كتبه دافيد عساف، ونشر في جريدة «صهيون» (٤ نوفمبر ١٩٩٤م)، وهى جريدة فصلية تصدر عن الاتحاد التاريخى الإسرائيلى، ويصف عساف الشغب الذى حدث فى «أومان» بأوكرانيا، حيث تم دفن أحد الحاخامات الحسيديين الأكثر شهرة، وهو ناحمان من مدينة براسلو،وحيث كان يُهاجم أتباعه الذين كانوا يأتون إلى مقبرته مع مطلع كل عام يهودى للحج إليها، وكانوا يضربون عامًا بعد عام لمدة عشرات السنين بواسطة الحسيديين الآخرين.

وبلغت حوادث الضرب السنوى ذروتها فى عام ١٨٦٣م من خلال هجوم غادر قام به تحالف الطوائف الحسيدية، وتم وصفه بواسطة كاتب يهودى معاصر فى الصحف العبرية التى كانت تصدر فى ذلك الوقت.

وأشار كاتب المقال إلى مدى التشابه بين هذه «المذبحة» الحسيدية وتلك التى ترتكب بواسطة المعادين للسامية. كما وصف أيضًا كيف قام الحسيديون بتحطيم الصوان المقدس الذى تحفظ فيه صحائف التوراة. كما اعتبر الحسيديون المكان يمثل الهرطقة فى حد ذاته، وتم ضرب ورجم المهرطقين المزعومين، وحينما أصابهم الإنهاك هاجموهم مرة أخرى.

obeikandi.com

وقام المهاجمون باستغلال الفرصة لضرب اليهود المتمدينين الموجودين بالمكان، بمن فيهم النساء اللائى اعتبرن يرتدين ملابس غير محتشمة، وخوفًا من حدوث هجمات أخرى، قام حسيديو «براسلو» باستئجار فرقة من الجنود الروس للدفاع عنهم. وفى العام التالى أدى انهيار التحالف الحسيدى وهجوم اليهود على اليهود فى مدينة رازيشفتس «جنوب كييف» إلى منح حسيديى «براسلو» هدنة مؤقتة، وقد اندلع شغب رازيشفتس حينما قال حاخام مقدس من مكان آخر بعمل طائش يتمثل فى زيارة رازيشفتس، حيث يقيم حاخام مقدس آخر، لجمع التبرعات.

وكما كتب عساف فى مقاله : بالطبع، قام حسيديو الحاخام المقدس المحلى بلعن ورجم الحاخام الدخيل حتى أشرف على الموت!! وجرح العديد من الحسيديين.

وبعد ذلك زعم الحاخامان، كل من جانبه، أن طعام الآخر غير شرعى (ليس كوشير)، كما زعم كل حاخام أيضًا أن صلوات الآخر «مكروهة من الرب».

وقد اتهم الحاخام المقدس لمدينة رازيشفتس بأنه مزور للنقود واحتقره زملاؤه. وقامت الشرطة بإجراء تحقيق مهذب فى الأمر. وعلى الرغم من أن حسيدى براسلو حصلوا على هدنة مؤقتة، فإنهم تبعًا لعساف، كانوا يهاجمون بشكل منتظم بواسطة الحسيديين الآخرين حتى عام ١٩١٤م.

أما المثال الصغير فهو ذلك الذى حدث فى مدينة ڤيشيجراد عام ١٨٨٦م وكتبت عنه الصحافة العبرية المعاصرة. ومن خلال استشهاده

ببحوث المؤرخين اليهود الجدد، كتب روزين فى المقال المشار إليه من قبل:

«قام حسيديو مدينة ڤيشيجراد بالاعتراض على قائد فرقة الإنشاد الجديدة «للمعبد»؛ لأن ملابسه نظيفة، ويضع حذاء مطاطيّا فوق حذائه العادى.

ولذلك قاموا بشغب فى المعبد ضد ذلك الشخص وضربوا خصومهم حتى سالت دماؤهم. وبعد ذلك تم القبض على الحاخام الذى حرض على الشغب، وأخذ إلى مقر الحكومة لسؤاله عما حدث. أما مثيرو الشغب الفعليون فقد وجهت لهم تهم جنائية».

بعد عام ١٨٨١م بدأ الوضع فى روسيا فى التغير وتناقصت الهجمات اليهودية على اليهود لمدة أعوام عديدة. فى عام ١٨٨١م بدأت المذابح الروسية والأوكرانية بتحريض من الحكومة، وبدأت الهجرة الجماعية لليهود من روسيا. وبعد ذلك أصبحت رقابة الشرطة أكثر تشدداً فى ظل حكم الكسندر الثالث الذى صعد إلى العرش بعد اغتيال الثوار لوالده الكسندر الثانى. وعلى الرغم من تناقص هجمات اليهود على اليهود فإنها ظلت مستمرة فى روسيا حتى عام ١٩١٤م.

فى المناطق البولندية التى كانت تسيطر عليها الشرطة النمساوية كان الإشراف أقوى، وبذلك توقفت هجمات اليهود على اليهود. وكان **اليهود الأرثوذكس يستخدمون بعض الأشكال السرية للاضطهاد الدينى**

ضد اليهود المتمدينين، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم «مسكيليم» أى المتنورين. وفى حالات متطرفة كان يتم تحريض خدم المسكيليم لقتل مخدوميهم أو استخدام طرق اغتيال أخرى.

وكتب روزين عن ذلك يقول :

«بمناسبة اقتراب الذكرى السنوية لاغتيال رابين، قام البروفيسور زائيف جريس من قسم الفكر اليهودى بجامعة بن جوريون، بإرسال قصة تحكى ما حدث فى ليمبرج (الآن تسمى ليفيف) فى القرن التاسع عشر.

فى عام ١٨٤٨م كانت ليمبرج جزءًا من النمسا. تم اغتيال حاخام يدعى أبراهام كوهين على يد اليهود لأسباب دينية. وكان هذا جزءًا من المواجهة المحتدمة بين اليهود المتنورين والحسيديين المتعصبين، وتم نشر مقال عن ذلك فى الصحافة العبرية فى فلسطين، وذلك فى جريدة «داڤار» بعد عام من اغتيال أرلوزورفيتش (أحد زعماء حزب العمل) وهوجم المقال بشدة من الصحافة العبرية اليمينية فى ذلك الوقت».

استشهد روزين أيضًا بما قاله البروفيسور بارتال الذى كان يؤمن بأن هجمات الحسيديين فى المواجهة العامة القائمة كانت إرهاصة تبشر بحدوث المذبحة التى ارتكبها باروخ جولدشتاين. وعلق بارتال على ذلك بالقول أن المسكيليم كانوا يهاجمون الحسيديين أو اليهود المتدينين الأرثوذكس الآخرين فقط من خلال الهجاء. فقط إذا نفد صبرهم فإنهم كانوا يهاجمون أو يدافعون عن أنفسهم باستخدام العنف المادى.

وكتب روزين عن القصة التى أوردها البروفيسور جريس بخصوص اغتيال الحاخام كوهين بالسم ما يلى :

فى ليمبرج فى أربعينيات القرن التاسع عشر ، بعد البحث عن حاخام لكى يرأس صلاتهم، عثر المسكيليم على الحاخام أبراهام كوهين، الذى كان حاخامًا فى إحدى المدن النمساوية الصغيرة والتى تدعى «هوهنماس» .

وقد ولد أبراهام كوهين فى مدينة «بوهيميا» لأب يهودى فقير يعمل بائعًا متجولاً ، ولكنه حصل على تعليم عال . فبعد أن أنهى دراسته فى الياشيڤاه حصل على تصريح لكى يصبح حاخامًا، فتوجه إلى جامعة براغ للدراسة فيها، وحصل على درجة علمية منها . ويقول المؤرخ د. زائيف أهارون أشكولى ، الذى قام بالبحث فى قصة الحاخام كوهين، حيث نشر تعليقه عام ١٩٣٤م، إن الحاخام كوهين كان معتدلاً «ولكن باعتبار أنه حصل على تعليمه طبقًا للأسلوب الألمانى فى ذلك الوقت. فإنه كان يعتبر متمدينا» . وفى عام ١٨٤٤م، تم تعيين الحاخام كوهين حاخامًا لتجمع ليمبرج من المسكيليم، وبعد مرور عامين أصبح حاخامًا لكل المسكيليم فى مقاطعة ليمبرج . وحاول من جانبه إحداث تغيرات فى الحياة اليهودية، ولكنه سرعان ما ووجه بمعارضة شرسة من جانب «المتعصبين الدينيين» كما أطلق عليهم أشكولى . على سبيل المثال قام كوهين بافتتاح مدارس يهودية تعمل كبديل للمدارس الدينية، وحاول

إلغاء اختبارات المواد الدينية اليهودية التى كان الحاخامات الأرثوذكس يفرضونها على كل الأزواج والزوجات الشباب عند خطبتهم. وكانت أهم مبادرة قام بها كوهين، تبعًا لأشكولى، هى محاولته إلغاء الضرائب على اللحم الكوشير (الحلال) وشموع السبت، التى كان يدفعها يهود ليمبرج إلى السلطات النمساوية. وهذه الضرائب كانت عبئًا على فقراء اليهود، ولكنها كانت مصدرًا للدخل للكثير من زعماء الأرثوذكس، وكانت طريقة دفع الضرائب تتم على النحو التالى: **يحصل أحد الأثرياء اليهود مقابل دفع مبلغ معين للسلطات على حق فرض ضريبة معينة على اليهود، وبذلك يحصل على مبلغ ضخم مقابل جهوده.**

وقام خمسة من كبار جامعى الضرائب، والذين هم جميعًا من المتقين، برئاسة المعارضة ضد كوهين. وكان يقودهم الحاخام هيرتس برنشتاين، المنحدر من إحدى العائلات الحاخامية المعروفة، وكان يليه الحاخام تسفى أورنشتاين ابن الحاخام الأرثوذكسى السابق لمدينة ليمبرج. وفى عام ١٨٤٦م، أرسل كوهين بمذكرة إلى إمبراطور النمسا يشير فيها إلى الظلم والتعسف الذى يصاحب جمع الضرائب. وبسبب علاقته بالسلطات، تمت دعوته مرتين للتحدث إلى الإمبراطور. وقام جامعو الضرائب الخمسة بدورهم بإرسال مذكرة يشيرون فيها إلى أن جمع الضرائب هو مصدر رزق الآلاف من الأسر اليهودية. ومع ذلك وافقت السلطات النمساوية على طلب كوهين، وقامت بإلغاء الضرائب فى مارس ١٨٤٨م.

ربما لم يكن إلغاء هذه الضرائب عائدًا بشكل أساسى إلى طلب كوهين. حيث إن ثورة ١٨٤٨م، التى بدأت فى ڤيينا نتيجة لطغيان هابسبرج، ربما تكون السبب الأساسى فى ذلك. فقد نظر الليبراليون النمساويون إلى هذه الضرائب باعتبارها نوعًا من التمييز وعارضوها، وكان يساندهم فى ذلك المثقفون (أو المتنورون) اليهود. وكان **اليهود الأرثوذكس، وخاصة حاخاماتهم، متحالفين بقوة مع الحكم الاستبدادى، ليس فقط فى النمسا، ولكن فى أوروبا والشرق الأوسط**. وواصل روزين سرد حكايته عن سوء حظ الحاخام كوهين قائلاً:

«سواء كان ذلك بسبب المعارضة الأيديولوچية لكوهين أو لأسباب اقتصادية أو لكليهما، فإن الوجهاء اليهود الخمسة (أو جامعى الضرائب)، بدأوا فى عام ١٨٤٨م كفاحًا شاملاً ضد الحاخام أبراهام كوهين. فقاموا أولاً بتعليق لافتات فى المعابد تحرض اليهود على البصق فى وجهه ورجمه. وحينما زاد اضطهاده، طلب منه أصدقاؤه الموافقة على أن تتم حراسته طوال الوقت، ولكنه رفض، قائلاً إنه لا يعتقد أن اليهود سوف يقتلونه. بعد ذلك قاموا بتعليق لافتات تقول بأن «قانون المطارد». (الذى سوف يتم شرحه لاحقًا) ينطبق على الحاخام كوهين. على سبيل المثال، كانت إحدى اللافتات تقول: «إنه أحد اليهود الآثمين الذى يقول التلمود عنهم إن دمهم حلال» (بمعنى أن أى يهودى يستطيع ويجب عليه أن يقتلهم).

وقالت لافتة أخرى: «هل يوجد يهودى يمكنه أن يحررنا من الحاخام الذى يدمر أتباعه؟» وقرر المتعصبون أولاً أن يتم الاغتيال أثناء عيد البوريم فى ١٨٤٨م، وقاموا حتى بإجراء القرعة لتحديد من ذا الذى سوف ينال شرف قتل الحاخام، ولكنهم أخفقوا. وبعد مرور شهر على ذلك وأثناء عيد الفصح فى عام ١٨٤٨م، قام حشد من اليهود برجم منزل الحاخام كوهين بالحجارة، ولم ينقذه سوى عدد كبير من رجال الشرطة. ومع ذلك فى يوم ٦ سبتمبر ١٨٤٨م، نجح أبراهام بار بيلبل، أحد السفاحين اليهود، فى دخول منزل الحاخام دون أن يراه أحد وتوجه إلى المطبخ ووضع سم الزرنيخ فى حساء الحاخام أثناء طهوه، وبعد وقت قصير، تناول الحاخام كوهين وأسرته الحساء، ومات الحاخام وابنته الصغيرة. ولم يقم الحسيديون وزعماؤهم بحضور الجنازة وقاموا بالاحتفال بموته. علاوة على ذلك، لم يقم أى حاخام أرثوذكسى بنطق كلمة واحدة لإدانة التحريض على القتل أو القتل.

وشارك الكثير من اليهود الذين لم يكونوا من الأرثوذكس فى التزام الصمت. وقام المؤرخ اليهودى جراتس، مؤلف التاريخ الأول لليهود، بحذف هذه القصة من تاريخه، الذى نشر بعد ذلك. وقام اليهود الأرثوذكس بإخراج جثة الحاخام القتيل من مقابر الوجهاء وقاموا بدفنها فى مكان آخر».

يقول البروفيسور زائيف جريس:

«إن ما توصلت إليه فى النهاية، وأنا آسف لذلك، هو أنه لا شىء

جديد فى اليهودية» فنزع الشرعية والتحريض والكتابة على الحوائط، وعلى وجه خاص صمت الحاخامات فى تلك الأزمنة وكل شىء آخر كان يماثل تمامًا ما حدث قبل اغتيال رابين.

هل كان قتل الحاخام أبراهام كوهين حالة استثنائية؟

فى ديسمبر عام ١٨٣٨م، قام حاكم جنوب غرب روسيا، الچنرال ديمترى جابربلوفتش بيبيكوف، بإصدار منشور إلى حكام المقاطعات الخاضعين لسلطته وطلب منهم فيه مراقبة ما يجرى فى المعابد اليهودية وما يحدث فى المنازل اليهودية لدراسته. وكتب يقول «**فى هذه الأماكن، كثيرًا ما تحدث أشياء تترك وراءها قتلى من اليهود. وهذه الجرائم خطيرة؛ لأنها تقع فى أماكن مخصصة للصلاة ودراسة المبادئ الدينية. كما أنها تخضع أيضًا للأحكام المستقلة للمحاكم الحاخامية، التى تتصرف تبعًا لمعتقدات خاطئة تتعلق بالتخلص من «الوشاة» الذين يكشفون عن جرائم زملائهم المتدينين. وينجح الحاخامات غالبًا فى تضليل التحقيق «الرسمى» لدرجة أن شخصيات القتلة ليست هى فقط التى تظل مجهولة، ولكن أيضًا شخصيات الضحايا**».

يعتقد الكثير من المؤرخين الإسرائيليين الجدد أن أنواع العنف التى كانت تمارس ضد المهرطقين والوشاة متصلة ببعضها البعض على نحو حميم.

وهناك قانونان إضافيان من قوانين الهالاخاه لهما أهمية خاصة بالنسبة لاغتيال رابين. وهذان القانونان، اللذان كان يتم استخدامهما منذ

الأزمنة التلمودية لقتل اليهود، لجأ إليهما القاتل، إيجال عامير، فى تبريره لقتل رئيس الوزراء رابين، ولا يزالان يتم التأكيد عليهما بواسطة اليهود الذين وافقوا أو أدانوا هذا الاغتيال على استحياء. وهذان القانونان هما «**حكم المطارد**» و«**حكم الواشى**». القانون الأول يأمر كل يهودى بقتل أو جرح أى يهودى يرى أنه ينوى قتل يهودى آخر. وتبعًا لشروح الهالاخاه، ليس من الضرورى رؤية ذلك الشخص وهو يطارد الضحية. فيكفى أن تعلن السلطات الحاخامية، أو حتى العلماء الثقة، أن قانون المطارد ينطبق على هذا الشخص. والقانون الثانى يلزم كل يهودى بقتل أو جرح أى يهودى آخر، قام بالوشاية لدى غير اليهود، وخاصة السلطات غير اليهودية، بشأن الأمور اليهودية أو قام بإبلاغها معلومات عن الممتلكات اليهودية أو قام بتسليم أشخاص يهود أو ممتلكات يهودية إلى الحكم أو السلطة. والسلطات الدينية المختصة مخولة أن تفعل، وفى أوقات معينة فعلت ذلك، تلك الأشياء المحظورة على اليهود الآخرين فى القانون الثانى.

وأثناء الفترة الطويلة من التحريض التى سبقت اغتيال رابين، قام الكثير من الكتاب الحريديم والمسيانيين بتأكيد انطباق هذين الحكمين على رابين وزعماء إسرائيليين آخرين.

وقام الضالعون فى الديانة اليهودية بالإشارة إلى تطورات لاحقة فى الهالاخاه تشتمل على فئات أخرى من اليهود الذين يعرفون على أنهم «أولئك الذين ينطبق عليهم حكم المطارد» وكل يهودى من واجبه قتل

أولئك المدرجين فى هذه الفئات. ومن الناحية التاريخية، قام يهود الشتات باتباع هذا القانون كلما أمكن ذلك، حتى ظهور الدولة المعاصرة على الأقل. وفى الإمبراطورية الروسية قام اليهود باتباع هذا القانون حتى نهاية القرن التاسع عشر.

كانت أرض إسرائيل ولا تزال تعتبر من قبل كل اليهود المتطرفين ملكية قاصرة على اليهود. ومنح الفلسطينيين السلطة على أى جزء من هذه الأرض يمكن أن يفسر على أنه عمل من أعمال الوشاية.

كما فسر بعض اليهود المتطرفين العلاقات التى نشأت بين رابين والسلطة الفلسطينية على أنها تضر بالمستوطنين اليهود. وفى هذه الحالة يعتبر رابين من الوشاة. وقام الحاخامات ذوو النفوذ، مثل زعيم جوش إمونيم الحاخام موشيه لڤنجر، بالهجوم علنًا على الوشاة من أمثال رابين وبعض وزراء حزبى العمل وميرتس وبعض أعضاء الكنيست. وحاول البروفيسور آسا كاشير، الأستاذ بجامعة تل أبيب، الذى يحظى باحترام واسع فى إسرائيل، تنوير الجمهور الإسرائيلى من خلال كتابة خطاب إلى محرر ها آرتس يتناول المعنى المحدد للمصطلح المستخدم بواسطة لڤنجر وخطر الاغتيال المنطوى عليه.

وذهبت تحذيراته أدراج الرياح بالنسبة للجميع، بمن فيهم رابين ومحررو ها آرتس. كما تجاهل الشاباك أيضًا، وهو ذلك الفرع من الشرطة السرية الإسرائيلية المسئول عن الشئون المحلية والمسئول عن حماية رابين، المخاطر المتضمنة فى التطبيق المحتمل والمرجح لحكم

الواشى على رابين. وأصر الشاباك حتى آخر لحظة على أن خطر القتل يأتى فقط من جانب المتطرفين المسلمين. **ومما يثير الدهشة، أنه بنهاية أغسطس ١٩٩٨م، كانت وسائل الإعلام الإسرائيلية تعج بتحذيرات الشاباك من أن المتعصبين المتدينين اليهود ينوون اغتيال نتنياهو، ووزير الدفاع موردخاى ووزراء آخرين بسبب موافقتهم من حيث المبدأ على انسحاب إسرائيل من ١٣٪ أخرى من الضفة الغربية. وهذه التحذيرات كانت تقوم على نفس المنطق الأصولى الذى أدى إلى اغتيال رابين، كما أشارت إلى بعض الأخطار التى تمثلها الأصولية اليهودية.**

كان اغتيال رابين نتيجة منطقية للأنشطة الدينية المتطرفة للجماعات السرية اليهودية عام ١٩٨٤م. فكان أعضاء هذه الجماعات السرية يقومون بزرع القنابل تحت الباصات العربية بالقرب من القدس فى يوم الجمعة. وكانت هذه القنابل الزمنية معدة بحيث تنفجر بعد بداية عشية السبت حيث يكون السفر تبعًا للشريعة اليهودية محظوراً ومحرمًا. وفى هذا الوقت، قبل الانتفاضة، كان الكثير من اليهود الإسرائيليين يستقلون الباصات العربية. وكانت الفئة الوحيدة التى ليس من المرجح أن تستخدم هذه الباصات فى الوقت الذى سوف تنفجر فيه القنابل هى فئة اليهود المتدينين.

وكان الأعضاء المنتمون لهذه الجماعات السرية اليهودية يحصلون على موافقة الحاخامات قبل القيام بهذه العمليات.

وكان بيريز ورابين وشامير، الذين يتصرفون طبقًا للاتفاق الذى توصلت إليه حكومة الوحدة الوطنية التى لا تزال فى السلطة، يأمرون الشرطة بالكف عن التحقيق مع الحاخامات المتطرفين. ولم يقم أى من الحاخامات بالاعتراض على المنطق الدينى الذى يقف وراء زرع هذه القنابل.

والنتيجة التى لا مفر من التوصل إليها هى أن بعض الحاخامات وافقوا ولم يعترض الآخرون على القتل المتعمد لليهود غير المتدينين، بسبب آرائهم المهرطقة المزعومة.

وقالت جريدة «يديعوت أحرونوت» فى ١٦ نوفمبر ١٩٩٥م، إن الحاخام ناحوم رابينوفيتش اقترح زرع الألغام والمواد المتفجرة حول المستوطنات المهددة بالإخلاء من قبل الجيش الإسرائيلى. وهذا الاقتراح يتبع نفس المنطق. وحينما سأل عن الخطر المتمثل فى تهديد حياة الجنود اليهود نتيجة لاقتراحه، أجاب الحاخام رابينوفيتش قائلاً: «إذا أطاعوا الأمر بإزالة أى مستوطنة يهودية، فإنهم بذلك يكونون يهودا آثمين» وبذلك فإن كلامه ينطوى على أنهم يستحقون الموت. وهذا يمكن أن يرى فى سياق الكره المزدوج لغير اليهود واليهود العلمانيين الذى بشر به حاخامات الاستيطان.

إن سبب هذا التجاهل المتعمد لهذا الخطر، من قبل الكثير من اليهود الإسرائيليين، يتلخص فى رؤيتنا للشوفينية اليهودية، تلك الرؤية السائدة بين اليهود. فالشوفينيون يزيفون تاريخ أمتهم من أجل أن يبدو أفضل مما هو عليه. كما أنهم أيضًا يزيفون الوضع الحالى من خلال الزعم بأن

أمتهم هى الأفضل. وهذا الزعم، الذى يمارسه الكثير من اليهود، يكون خطرًا بشكل خاص حينما يعزز من خلال تحالف التعصب الدينى والتجاهل المتعمد. فالشوفينية اليهودية تكون ناقعة السم على وجه الخصوص؛ لأن الجمع بين الدين اليهودى والقومية اليهودية ساد لفترة طويلة ولا يزال يسود عبر الكثير من اليهود. ولا يجب نسيان أن الديموقراطية وحكم القانون جاءا إلى الدولة اليهودية من الخارج. وقبل نشوء الدولة الحديثة، كانت المجتمعات اليهودية فى جانبها الأعظم يحكمها حاخامات استخدموا وسائل وحشية واستبدادية بالغة السوء مثل تلك التى تستخدم بواسطة الأنظمة الشمولية. وأعز أمانى الأصوليين اليهود الحاليين تتمثل فى إعادة هذا الوضع.

إن المعلومات الواردة فى التلمود نفسه عن قتل وعقاب الوشاة اليهود شحيحة وغير محددة.

وكان الخوف من السلطات الرومانية والساسانية مسئولاً جزئيًا عن ذلك. ونفس الموقف قد وجد أثناء زمن الجاعونيم فى العراق، الذين عاشوا هناك من حوالى عام ٧٥٠ ميلادية إلى عام ١٠٥٠ فى ظل الحكم القوى للخلافة العباسية ونادرًا ما تتناول ردود الجاعونيم الوشاة فقط وتطبق فقط عقوبات دينية فى معظمها. وقال الحاخام بالتوى، تبعًا لعساف فى ص ٤٩ من كتاب «العقوبات» فى منتصف القرن التاسع، إن الواشى ليس فقط اليهودى الذى يقوم بالوشاية، ولكنه ذلك الذى يقول أثناء شجار علنى مع يهودى آخر إنه سوف يوشى به.

obeikandi.com

ومع ذلك طبق بالتوى عقوبة معتدلة تتمثل في اعتبار هذا الشخص «شريرًا»، وبذلك يصبح غير قادر على إعطاء وعد أو شهادة.

وفى إسپانيا الخاضعة للحكم الإسلامى بعد انهيار الخلافة الأموية القوية فى السنوات الأولى من القرن الحادى عشر، كان الموقف مختلفًا وكثيرًا ما كان يتم إعدام الوشاة. وفى مدينة «اليسينا» التى كان معظم سكانها من اليهود فى منتصف القرن الحادى عشر، أمر الحاخام يوسف هليفى ابن هاميجاش، وكان أحد العلماء البارزين، تبعًا لعساف فى ص ٦٣ من «العقوبات»، أمر اليهود برجم أحد الوشاة أثناء صلاة «النيلة» يوم كيبور وكان يوافق يوم السبت. والرجم يعتبر عادة انتهاكًا خطيرًا لكل من يوم كيبور ويوم السبت، علاوة على ذلك فإن صلاة «النيلة» التى ترتل مرة واحدة فى العام مع اقتراب يوم كيبور، هى غالبًا أكثر الصلوات قداسة لدى اليهود. واختيار هذا الوقت بالذات ربما كان الهدف منه الحاجة إلى الإشارة لكل اليهود أن واجب قتل أى واش يهودى يعتبر أكثر أهمية من أية اعتبارات دينية أخرى. والواقع أن ميمون كتب فى شرحه المعتمد للمشناه، كما استشهد به عساف فى كتاب «العقوبات» ص ٦٣ : «يحدث كل يوم فى الغرب «إسپانيا وشمال أفريقيا» أن يتم قتل الوشاة الذين أبلغوا عن أموال اليهود، أو يتم الإبلاغ عنهم لغير اليهود حتى يتم قتلهم أو ضربهم أو يسلمون للأشرار» وهذا الحكم، الذى استخدمته السلطات اليهودية لاحقًا، يمثل سابقة مهمة : فالوشاية مسموح بها، أو حتى الاستمتاع بها، حينما تتم بواسطة السلطات اليهودية للمجتمع

اليهودى فى الحالات الضرورية. واليهود الأفراد فقط هم من يجب أن يقتلوا إذا قاموا بالوشاية.

وفى موضع آخر من تفسيراته قال ميمون إن واجب قتل كل من الوشاة والمهرطقين هو تقليد يطبق فى كل مدن الغرب. وبعد استعادة معظم إسپانيا بواسطة المسيحيين، فيما عدا غرناطة، استمر قتل الوشاة وزادت كثافته فى ممالك غرناطة والقشتل وأراجون. وعدد الحالات المسجلة فى «الردود الإسپانية» كبير جدًا. والأمثلة القليلة الآتية تعبر عن ذلك:

فقد أجاب الحاخام آشر، كما جاء بكتاب «العقوبات» لعساف فى ص ٧٣، عن سؤال عن يهودى معروف بأنه واش، وأن المحكمة الحاخامية تحقق فى القضية. ورد آشر بالقول إن قتل الوشاة لا يحتاج شهودًا ولكن مجرد التعبير عن الرأى بواسطة يهود آخرين بأن شخصًا معينًا هو واش. «فإذا كنا نحتاج إلى شهادة شاهد عيان فإننا ربما لا نستطيع إدانة الوشاة أبدًا».

«وهذا نفس المنطق الذى يستخدمه المحققون فى الدول الشمولية المعاصرة والنظام الإسرائيلى الاستعمارى فى الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧م».

قام الحاخام آشر بالهجرة إلى إسپانيا قادمًا من شمال فرنسا حيث كان حاخامًا مشهورًا بالفعل وكان على دراية واسعة بعادات الأشكناز وكذلك بعادات اليهود الإسپان. ولذلك فإنه كان يستطيع القول عن علم

ومعرفة بأن الممارسة الشائعة فى الدياسپورا كانت تتمثل فى الحكم بالموت على الواشى الذى قام بالوشاية عن اليهود أو أموالهم ثلاث مرات.

وكان الحاخام آشر يؤمن بأن ذلك ضرورى من أجل ألا يزيد عدد الوشاة بين اليهود. وبعد أن تأمل كل ذلك قليلاً، توصل إلى أن قتل الواشى كعقاب هو عمل خير. فذلك يدل على أن كل أعداء الله يجب أن يهلكوا.

وفى رد آخر، يستشهد به عساف فى ص ٧٤، تناول الحاخام آشر يهوديًا يسمى أبراهام، أو آلوت. فبعض اليهود اتهموه بأنه قام بالوشاية مرات عديدة. وأصر الحاخام آشر على أن الجميع يجب أن يعلموا أن الواشى يمكن أن يعاقب حتى فى يوم كيبور ولو وافق يوم سبت، وقال إن هذا حدث فى ألمانيا وفرنسا.

كما أشار الحاخام يهودا، ابن الحاخام آشر، تبعًا لعساف فى ص ٧٩ من كتاب «العقوبات» (فى حالة يهودى قام بالوشاية لسنوات عديدة)، «إلى أن كل من يقتله سوف يكافئه الله. واليهودى الذى يستطيع قتل الواشى ولا يفعل يمكن أن يعاقب عن كل ما ارتكبه الواشى كما لو كان هو الذى فعله».

وفى قضية أخرى، أعلن الحاخام يهودا أن اليهود يجب أن يقتلوا الوشاة بأنفسهم خشية أن يرفض القضاة غير اليهود توقيع عقوبة الإعدام عليهم. وفى بعض الحالات كانت تقوم التجمعات اليهودية بشراء حياة

الواشى من الملك وبعد ذلك تقوم بإعدامه علنًا. وحدث ذلك على سبيل المثال، فى برشلونة فى أبريل عام ١٢٧٩م، حيث سجل الحاخام شلومو بن عذريت ذلك فى كتاب ردوده، فقد قام أحد اليهود ويسمى فيدالان دى بورتا، والذى ينتمى إلى إحدى العائلات النبيلة، بالوشاية إلى الملك بيدرو الثانى ملك أراجون، والذى كان أيضًا كونت كتالونيا. فبعد أن تم طلبه بواسطة سكان كتالونيا من اليهود، وافق الملك «غالبًا بسبب المال» على تسليمه للسلطات اليهودية فى برشلونة، والتى كانت قد حكمت عليه بالإعدام، وقام يهود برشلونة بسوقه «إلى الشارع المواجه للمقابر فى برشلونة وقطعوا أوردة ذراعيه، فنزف حتى مات»، وبعد مرور ثلاثة أعوام على الإعدام، قام أشقاء الضحية بالاحتجاج على ذلك. وقام الحاخام شلومو بن عذريت بالدفاع عن الحكم بالقول بأن هذه الأحكام كانت تنفذ غالبًا فى أراجون والقشتل.

كما قام أيضًا بالكتابة إلى ألمانيا من أجل طلب مساندة الحكم من الحاخام الأكثر أهمية فى ذلك الوقت، وهو مائير ماهارام، من روزنبرج. وقانون الواشى بارز فى «الردود الإسپانية» الهامة؛ لأنها اعتمدت على آراء الحاخام الپولندى الشهير فى القرن السادس عشر، شلومو لوريا. وهذه يستشهد بها بواسطة عساف فى كتاب «العقوبات» ص ٨٣ إلى ٨٧: وإنه «أى الواشى» لا يقتل فقط من خلال قرار المحكمة الحاخامية، ولكن أى يهودى يمكنه أن يقتله بنفسه ويكافئه الله، ونفس العبارة تظهر فى العديد من الردود الحاخامية.

فى أواخر القرن الخامس عشر قام اليهود الإسپان بقتل وتشويه الواشين. وقام اليهود فى مجتمعات أخرى، خاصة فى شمال أفريقيا والبرتغال، تأثرًا باليهود الإسپان، بفعل نفس الشيء، وكتب الحاخام شيمون، ابن الحاخام تسيماخ الذى هاجر من إسپانيا وذهب إلى الجزائر فى أوائل القرن الخامس عشر، كما جاء بكتاب عساف ص ٨٩، أن قتل الواشى واجب مقدس. كما أدرك الحاخام شيمون أن القتل لم يكن ممكنًا دائمًا، ولذلك نصح فى هذه الحالة بأن الواشى يجب أن يوسم على جبهته أو يجلد، ولكنه فى كل الأحوال يجب أن يذاع اسمه كواشٍ فى كل المجتمعات.

إن المعلومات المتعلقة بقتل الوشاة فى المجتمعات الأشكنازية الأولى فى شمال فرنسا وألمانيا نادرة قبل القرن الثالث عشر وغير موجودة بعده.

ويرجع ذلك غالبًا إلى الاستقلال اليهودى الأقل والسلطة الأقوى للدول غير اليهودية، وشهد الحاخام آشر، كما ذكر من قبل، أن قتل الوشاة فى ألمانيا فى زمنه كان شائعًا. وقدم القليل من الأدلة على ذلك. وكتب الحاخام تام، وكان أحد الحاخامات الكبار فى شمال فرنسا، تبعًا لعساف فى ص ١٠٧، أن مجلس حاخامات فرنسا، المنعقد فى ترويس، قام بمناقشة المشاكل «الحادثة بسبب مجرمى أمتنا» الذين يقومون بالوشاية سرًا أو علنًا، وبسبب اليهود الذين قدموا قضاياهم ضد اليهود الآخرين إلى قضاة غير يهود، وبذلك فإنهم يهزأون بسلطة المحاكم الحاخامية. والعقاب الواضح الوحيد الذى كانوا يطبقونه على هؤلاء المجرمين هو

النبذ أو العزل، والذى كان يتضمن عدم التحدث معهم. وكان الحاخامات يخففون من هذا الخطر بعض الشىء من خلال قولهم بأن أولئك اليهود، الذى يخشون غضب الملك أو الإقطاعيين يمكنهم التحدث إلى الوشاة المنبوذين، ولكنهم يجب ألا يستخدموا هذا التصريح كمجرد حجة للقيام بذلك.

وفى الجزء الأخير من القرن الثالث عشر، تبعًا لعساف ص ١٠٧، كتب الحاخام مائير بمدينة روزنبرج أن اليهود يمكنهم قتل أو تشويه الواشى، من خلال قطع لسانه، حيث يظل فى حالة عزله تامة. وفى حالات قليلة فى ألمانيا فى تلك الفترة تم تطبيق عقوبة القتل أو التشويه على الوشاة. وإحدى تلك الحالات كانت تشتمل على أحد الوشاة بمدينة ستراسبورج فى أوائل القرن الرابع عشر. وقام الحاخام صموئيل شليتشتات بمدينة ستراسبورج بالحكم على الواشى بالإعدام.

وقام المجتمع اليهودى بالكتابة إلى قاض غير يهودى حيث أمر بإغراقه فى نهر الراين. وقام بعض أصدقاء الواشى حينئذ باستعطاف بعض الإقطاعيين والذين قاموا باستعطاف الإمبراطور. وقام الأصدقاء بالشهادة فى المحاكم غير اليهودية وقدموا شهادة موقعة مكتوبة باللاتينية. وشهدوا بأن الحاخام شليتشتات أرسل بخطاب إلى اليهود قال فيه إن الواشى يجب أن يقتل. كما شهدوا أيضًا بأنه قام بجمع التبرعات من ستراسبورج والمجتمعات اليهودية المجاورة للتأكد من تنفيذ الإغراق، وفحوى ذلك أن القاضى الذى أصدر الحكم تمت رشوته.

وكانت نتيجة ذلك هى أن الحاخامات شليتشتات اضطر للاختباء من السلطات لعدة أعوام.

وبعد ذلك هرب من ألمانيا إلى العراق، وقام بالشكوى لرئيس المجتمع اليهودى العراقى، دافيد بن هودايا، من مظالم اليهود الذين اضطهدوه.

وبناء على ذلك قام دافيد بن هودايا بالأمر بعزل المذنبين كتابة. وقام الحاخام شليتشتات بالعودة إلى ألمانيا ومعه أمر العزل. أما ما حدث بعد عودته فغير معروف، حيث تنتهى القصة هنا، ومنذ ذلك الحين والمصادر الحاخامية لا تشير إلى القتل ولكنها كثيراً ما تتحدث عن عزل الوشاة.

هناك معلومات تفصيلية متوافرة عن اليهود الأشكناز فى پولندا فى القرن السادس عشر. وقد تمتع هؤلاء اليهود، كما ذكرنا من قبل، بسلطات واسعة فى الكومنولث الپولندى ـ الليتوانى. ولذلك فإن قتل وتطبيق عقوبات أخرى على الوشاة اليهود، حينما تكون الدلائل متوافرة، كان شائعًا. وقام الحاخام شلومو لوريا، كما أوضح عساف فى ص ١٢٢ من كتاب «العقوبات»، بالإصرار على وجوب قتل الوشاة. وأضاف:

«من الأفضل قتلهم بدلاً من تشويههم، على سبيل المثال، من خلال قطع ألسنتهم، وذلك من أجل اقتلاع الشر من بيننا، فاليهودى الذى يتم تشويهه فى حكم المؤكد أنه يتحول إلى ديانة أخرى لكى ينتقم ولسوف يحكى أكاذيب عن اليهود. فأنا أرى أن تشويههم سوف يسبب معاناة كبيرة لليهود».

وبعد بداية القرن السابع عشر، كان الحاخامات الپولنديون والسلطات اليهودية المستقلة يميلون إلى استخدام لغة أكثر حذراً عندما يكتبون عن قتل الوشاة اليهود.

وفى حالة واش يهودى تم طرده من مدينة بنسك ومن كل ليتوانيا، ولكنه ظهر فى مدينة لوبافيتش، استخدمت لجنة يهود ليتوانيا فى حكمها العبارة العبرية «هتارات دم» بمعنى «إهدار دمه». وهذه العبارة التى أصبحت شائعة مثل هذه الأحكام، كانت أقل مباشرة من الأمر الفعلى بقتل الواشى. وفى نفس القضية قالت لجنة يهود ليتوانيا، بعد الحكم بعزل اليهود الذين يكشفون الأسرار اليهودية حتى فى يوم كيبور، كما سجل ذلك عساف:

«فى حالة قيام أى شخص بالوشاية، حتى عن أموال يهودية، وبالذات فى حالات الإيذاء البدنى فإن كل يهودى يعرف القانون ولذلك ليست هناك حاجة لإصدار أية أحكام. إننا فقط نحذر، ونأمر أى يهودى يرى أو يسمع أى شىء عن ذلك، سواء كان يتصل به أم لا، أن يقوم فى غضون ثلاثة أيام بإبلاغه إلى وجيهين من وجهاء مدينته لا تربطهم صلة بالواشى. وإذا لم يفعل ذلك فإنه يصبح منبوذاً، ويطبق عليه عقاب الواشى. وسوف يقوم الوجيهان بفعل ما عليهم فعله. ولكن إذا كان الواشى يتمتع بالقوة والنفوذ ولم يستطيعا فعل أى شىء تجاهه، يقوم الحاخامات والوجهاء بكتابة اسمه فى سجل المدينة، بحيث لا يتم ختان أولاده ولا يتزوج أحد من بناته وينبذ من كل الأمور المقدسة. كما يقوم

الحاخامات بالانتظار حتى تتحقق الآية : «وعندها سوف أنتقم» (وهى آية تتكرر كثيراً فى التوراة وتعنى أن انتقام الله قد يتأخر ولكنه يأتى . التوراة هى الخمسة كتب الأولى من الكتاب المقدس ويقال إن موسى كتبها بنفسه وهى الأكثر قداسة لدى اليهود) .

مرة أخرى ، كانت اللغة المستخدمة أكثر حذراً ومباشرة من الأمر المباشر بقتل الواشى أو اليهودى الذى لم يبلغ عنه . والعبارة الأخيرة من الحكم تتعلق بذلك .

وهناك مثال پولندى آخر يوجد فى السجل المحفوظ للمجتمع اليهودى فى كراكاو . وتتم مناقشته بواسطة عساف فى ص ١٣٣ من كتاب «العقوبات» ، وهذا السجل يدين إسرائيل ، ابن الحاخام أهارون فليتشكر ، بسبب وشايته باليهود فى أمور مالية والسرقة واستخدام العنف وارتكاب جرائم دينية لا يمكن كتابتها :

«نحن ، وجهاء المجتمع والأكثر شرفًا (المحكمة الحاخامية) ، نظراً لشرف عائلته قررنا تخفيف العقوبة عنه . ولذلك نحكم عليه بأن يحرم من كل التجمعات الدينية وبألا يكون قادراً على الشهادة أو القسم (أمام المحكمة الحاخامية) ، كما يجب وضع طوق من الحديد حول رقبته ، كما تجب عليه إعادة ما سرقه ، سواء من أشخاص أو مجتمعات كما تصادر جميع ممتلكاته» .

بالإضافة إلى ذلك فإنه أمر بمغادرة المدينة ، ولم يسمح لأحد من ذريته بالإقامة فيها .

وهذا الحكم المخفف قد صدر فى ربيع ١٧٧٢م.

المثال البولندى الثالث مأخوذ من مقدمة لكتاب تلمودى، تاهارات قوديش، الذى نشر فى ١٧٣٣م، ووضعه الحاخام بنيامين، ابن الزعيم الدينى البولندى الهام، الحاخام ماتاتيا. وبيّن هذا الكتاب، الذى أشار إليه عساف فى ص ١٣٣ من كتابه «العقوبات»، أن الوشاة ازداد عددهم على مدار فترة زمنية معينة، على الرغم من القتل والعقوبات الصارمة الأخرى التى طبقت عليهم. وشكا الحاخام بنيامين مر الشكوى من عدد كبير من الوشاة اليهود فى زمنه.

وأضاف أن الكثير من اليهود يساعدونهم ويتملقونهم كما طلب من اليهود تجنب الوشاة.

وكان اقتراحه يتمثل فى «إهدار دمهم حتى نستأصل شأفتهم» كما حرم الحاخام بنيامين قبول أى أموال منهم للأغراض الخيرية، كما أضاف أنه فى إحدى الدول البعيدة نجح اليهود فى القضاء على الوشاة، وبذلك عاشوا فى أمان على الرغم من أنهم أنفقوا مقدارًا كبيرًا من المال فى سبيل ذلك، الأمر الأكثر أهمية هو أن تحقيقات الشرطة القيصرية فى قتل الوشاة اليهود والكثير من شهادات اليهود المثقفين فى القرن التاسع عشر تبين أن مشكلة الوشاة اليهود لم تحل عبر هذه التوصيات.

وبعد تقسيم الكومنولث البولندى ـ الليتوانى بين روسيا والنمسا وبروسيا عام ١٧٩٥م، وبعد الإلغاء اللاحق لاستقلال المجتمعات

اليهودية، بواسطة القوى الغازية الثلاث، تناقص العنف الممارس بواسطة اليهود، وخاصة السلطات اليهودية، ضد اليهود الآخرين سريعًا. واختفى العنف بدرجة ملحوظة فى الجزء البروسى من بولندا وظل بنفس المستوى السابق تقريبًا فى المناطق الخاضعة لروسيا. ومع ذلك كان العنف الذى يمارس فى المنطقة الروسية، يتم فى الخفاء. وفى المنطقة التى كانت تحكمها النمسا، كان الموقف معقدًا بعض الشىء، فالعنف اليهودى الذى تمثل، على سبيل المثال، فى اغتيال الحاخامات المعتدلين، حدث فى ظروف معينة.

إن المستويات الثلاثة للعنف بين اليهود فى المناطق الثلاث المقسمة من بولندا يجب أن تعزى إلى المستويات المختلفة من التأثيرات المعاصرة بعد التقسيم. فقد كان اليهود فى الجزء البروسى من بولندا يعيشون فى ملكية استبدادية مسلحة بالشرطة الجيدة والإدارة المدنية التى كانت متأثرة بدرجة كبيرة بالنزعات المعاصرة. حدث التقسيم الأول لبولندا حينما كان فريدريك الثانى الأكبر، صديق ڤولتير والفلاسفة الفرنسيين الآخرين لعصر التنوير، يحكم بروسيا. وظلت آثار التنوير، على الأقل بين صفوف العاملين بالإدارة البروسية، قوية لمدة جيل على الأقل بعد وفاة فريدريك الثانى عام ١٧٨٦م. وهناك أمر على نفس الدرجة من الأهمية يتمثل فى أن التنوير اليهودى الذى بدأ فى بروسيا، والذى اكتسب حتى قبل تقسيم بولندا مجتمعًا قويًا من اليهود المتنورين، تمحور حول برلين،

وعبّر عن نفسه فى ذلك الوقت بالعبرية وبالألمانية، وهؤلاء اليهود المتنورون يمكن التعبير عنهم من خلال الغالبية العظمى من اليهود الذكور فى المناطق التى تم ضمها إلى بروسيا.

وكان اليهود فى المنطقة الروسية من پولندا على النقيض، يعيشون فى نظام أكثر تخلفًا حيث كانت إدارته ضعيفة وغير فعالة على الرغم من القشرة الرقيقة من التنوير التى قدمتها كاثرين الثانية.

وكانت روسيا خالية من اليهود على مدى مئات السنوات، وأول يهود سمح لهم بالإقامة فى الإمبراطورية القيصرية كانوا أولئك الذين يعيشون فى الأراضى الپولندية التى تم ضمها. فمنطقة «بال» سيئة السمعة، وهى المنطقة الوحيدة من روسيا التى سمح لليهود، مع بعض الاستثناءات القليلة، بالإقامة فيها حتى عام ١٩١٧م، كانت هى المنطقة التابعة للكومنولث الپولندى ـ الليتوانى التى ضمت إلى روسيا. أما «روسيا القديمة» فقد حافظت على «نقائها» من خلال حظر دخول اليهود إليها. وبسبب عدم وجود يهود، كان لدى الروس، وخاصة أقطاب الكنائس الروسية نزعة قوية لمعاداة السامية.

فمعاداة السامية فى روسيا فى عام ١٨٠٠م كانت أسوأ من أى بلد آخر فى ذلك الوقت. علاوة على ذلك، قام النظام القيصرى مع بداية الاستيلاء على پولندا بفرض ضرائب خاصة على اليهود حتى عام ١٩٠٥م، وكذلك فرض إجراءات تمييز عنصرى أخرى ضد اليهود وأدى عدم وجود مدن ومراكز كبيرة، فيما عدا ستراسبورج وموسكو

والتى كانت محظورة على اليهود، والتعليم غير المتطور، إلى تمكين معظم اليهود الذين ضموا إلى روسيا من مواصلة طقوسهم القديمة، وخاصة فى المجتمعات الصغيرة حتى ثمانينيات القرن التاسع عشر. وكانت العادات والطقوس القديمة تشتمل على اضطهاد المهرطقين وقتل الوشاة.

ومع ذلك، وجدت جماعة صغيرة ومتنامية من اليهود المتنورين أنه أصبح من الأسهل الاعتراض على هذه الطقوس والعادات القديمة وغيرها فى ظل الحكم الروسى عما كانت عليه الحال فى ظل ظروف الاستقلال اليهودى فى الكومنولث البولندى ـ الليتوانى. ومنح الحكم الروسى على الرغم من كل عيوبه، لليهود المتنورين (أو المثقفين) حماية أكبر مما كانت لديهم فى السابق، مكنتهم على الأقل من الشهادة بخصوص قتل الوشاة.

كان اليهود فى الأراضى التى ضمت إلى النمسا فى حالة وسط بين حالتى بروسيا وروسيا. وبعد عام ١٨٤٨م وخاصة بعد عام ١٨٦٧م، حينما منحت النمسا شكلاً محدوداً من أشكال الدستور والحريات المدنية الأخرى، اقترب الوضع اليهودى فى النمسا أكثر إلى الوضع فى بروسيا، وبعد اتحاد ألمانيا عام ١٨٧١م اقترب من النموذج الألمانى، كانت النمسا وأسرة هابسبرج ذات نزعات قوية ومعادية للسامية حيث كانت أبرز ما تكون فى ظل حكم ماريا تريزا (٤٠ ـ ١٧٨٠م)، والتى كنت غالبًا أكثر حكّام القرن الثامن عشر معاداة لليهود فى أوروبا وكانت مسئولة عن

أكبر طرد لليهود قبل العصر النازى: حيث طردت حوالى ٧٠ ألف يهودى من براغ ومدن بوهيمية أخرى فى عام ١٧٤٥م.

واضطرت ماريا تريزا إلى تغيير قرارها وسمحت لليهود بالعودة فى غضون فترة زمنية قصيرة بسبب المعارضة القوية من جانب حليفتيها بريطانيا وهولندا، والتى اعتمدت عليهما فى الحروب النمساوية المتتابعة.

وقام خليفتها جوزيف الثانى بممارسة سياسة مناقضة لسياستها، وفى عام ١٧٨٢م أصدر قرارًا يقضى بمنح اليهود حقوقًا محدودة، ولكنها لا تزال لها مغزاها وقد فعل ذلك متحديًا المعارضة القوية. وبعد وفاة جوزيف عام ١٧٩٠م، تنازعت النمسا النزعتان صعوداً وهبوطًا حتى قرر الإمبراطور فرانس جوزيف تبنى سياسة موالية لليهود عام ١٨٦٧م.

قدم المؤرخون الإسرائيليون الجدد دلائل تبين أنه حتى ثمانينيات القرن التاسع عشر كان قتل الوشاة اليهود بواسطة يهود فى الإمبراطورية القيصرية شائعًا. وفى مقاله الذى يتناول المؤرخين الإسرائيليين الجدد قام روزين بالاستشهاد بالكاتب، شاءول جيبنسبرج، الذى كتب فى سيرته الذاتية أنه خلال القرن التاسع عشر تم إغراق المئات من الوشاة اليهود فى نهر الدنيبر، أكبر الأنهار التى كانت تنبع من «بال». وهؤلاء الوشاية كان يتم اتهامهم وإدانتهم تبعًا لقانون الوشاية؛ وذلك لأنهم ببساطة كانت تحوم حولهم الشكوك بأنهم أبلغوا السلطات بشىء ما.

وكتب روزين يقول: «مثل أبراهام كوهين، كان بعضهم يعمل على تحقيق أهداف أيديولوچية معينة مثل الرغبة فى نقل المجتمع اليهودى إلى

نمط حديث للحياة» وقام د. دافيد عساف ببحث بعض هذه الأمور وقال: «بعض هؤلاء الوشاة كانوا متخصصين قدموا للسلطات معلومات عن إخفاء الضرائب، ولكنهم حتى فى هذه الحالات، كان يحكم عليهم من خلال المحكمة العسكرية الحاخامية ويتم إعدامهم دون أية محاكمة مما يساعدنا على فهم الصراع بين اليهود المتنورين والأرثوذكس، وخاصة الحسيديين. وكما بيننا من قبل، كان الواشى اليهودى يحكم عليه بالموت سرّا دون أن يمنح فرصة قول أى شيء دفاعًا عن نفسه. وهذا النوع من أنواع الإعدام كان يستخدم لمئات السنين حتى العصر الحديث. وسأل روزين عساف عما إذا كان المجتمع اليهودى يعتبر هؤلاء الوشاة خونة وأجاب عساف بالقول:

«لم يكونوا يعتبرون كذلك بواسطة اليهود المتنورين، أكثر من ذلك، أراد اليهود المتنورون أن يصبح اليهود مواطنين للدولة. واشتمل ذلك من وجهة نظرهم، على دفع الضرائب والخدمة فى الجيش.

وكان تقديم معلومات للسلطات فى حالات كثيرة ضروريًا من وجهة نظرهم. وعندما تقارن الموقف بذلك الذى يوجد فى إسرائيل الآن (بعد عام من اغتيال رابين) فإنك سوف تجد، مع بعض التغيرات، أن الصراع الحالى مشابه لما كان يحدث حينئذ».

ومن أجل بيان ماذا كان يحدث، قام عساف باستعراض إحدى الفضائح التى قام بالبحث فيها والتى تتعلق بحاخام حسيدى شهير من مدينة «روزين» وهو إسرائيل فريدمان، الذى كان معروفًا باسم «رجل

روزين المقدس» . وكان فريدمان كشخصية حسيدية كبرى مهمّا ؛ لأن الحركة الحسيدية لعبت دورًا جوهريًا فى تلك الاغتيالات .

ويقول عساف على لسان روزين :

«كان فريدمان واحدًا من أعظم الزعماء الحسيديين ، وفى كتب التاريخ اليهودى يقدم على أنه شخص قليل المعرفة ، ولكنه باعتباره صاحب نفوذ فإنه كان يتمتع بمباهج الحياة . وكان مواظبًا على استخدام قانون المطارد ضد بعض الوشاة من مدينة «أوشيتس» فى مقاطعة بودوليا بأوكرانيا .

وفى فبراير ١٨٣٦م وجدت جثة أحد الأشخاص ، «إسحاق أوكسمان» ، تحت كتل الجليد فى نهر متجمد .

وكانت الجثة مشوهة بدرجة كبيرة ، نتيجة للتعذيب ، لدرجة أنه كان من الصعب التعرف على صاحبها .

ولكن بعد مرور بعض الوقت ، تعرف عليها أحد الشهود .

أيضًا اختفت جثة شخص آخر بعد قتله وهو صموئيل شفاتسمان. ونحن نعلم الآن أنه قد تم خنقه بينما كان يؤدى الصلاة بالمعبد، وتم تقطيع جثته إلى قطع وتم حرقها فى الفرن الذى كان يسخن مياه حمام المجتمع اليهودى . وبعد التحقيق الذى أجرته الشرطة ، كانت النتيجة هى أن يهود المجتمع الذى ارتكبت فيه الجريمة ، بما فى ذلك أقارب القتيل يعرفون تمامًا ما حدث ، وكيف حدث . ولكنهم لاذوا جميعًا بالصمت ، إما بسبب النظام القوى المتبع أو بسبب الخوف . وهذه القضية كانت

obeikandi.com

نموذجًا لما تقوم به المحكمة الحاخامية التى تصدر حكمًا غير مكتوب بقانون المطارد وعقوبات الإعدام. وقام يوسف بيرل، أحد زعماء اليهود المتنورين فى جاليسيا، بتقديم معلومات سرية إلى السلطات الروسية من أجل إدانة الحاخام إسرائيل».

وقال عساف، الذى وصف جرائم قتل حسيدية أخرى، إن بيرل الذى كان يكره الحسيديين، تصرف على هذا النحو لأسباب رأى أنها أيديولوچية.

واكتشف روزين، فى مقابلة شخصية مع المؤرخين الجدد، أن الطوائف الحسيدية المختلفة كانت تتصارع بعنف مع بعضها البعض بسبب المصالح الاقتصادية.

وكتب يقول: «بما أن الحسيديين كانوا يقدمون المال لرجالهم المقدسين، وكان هؤلاء يعيشون فى القرن التاسع عشر على نحو يضاهى رغد العيش والأبهة التى يعيش فيها الملوك المعاصرون، فقد كانوا مهتمين بالأماكن التى يأتى منها المال».

كانت يهودية ما قبل العصر الحديث تعج بالكثير من حالات العنف بين اليهود، والتى ذكرنا بعضًا منها فقط. ومع ذلك، فإن هذه الأمثلة القليلة تكفى لتبين لنا أن الأصولية اليهودية فى إسرائيل، فى شكليها المسيانى والحريدى، هى أصداء لموقف كان يوجد قبل بزوغ شمس العصر الحديث، وفقدان ذلك النمط من الاستقلال اليهودى بسلطاته الاستبدادية التى كانت تسمح بقتل أو معاقبة الوشاة بقسوة. وما حدث

فى الأصولية اليهودية لا يختلف عما حدث فى الأشكال الأخرى من الأصولية. وتم ابتكار بعض البدع من أجل إخفاء النوايا الحقيقية.

فالرغبة السائدة من الناحية الأيديولوچية تتمثل فى العودة إلى «الزمن الجميل» حيث كان كل شىء يسير كما ينبغى. وفى حالة النموذج المسيانى اليهودى من الأصولية، فإن الفكرة التى تحركه هى استخدام الوسائل المعاصرة من أجل توفير القوة اللازمة لإعادة إنشاء الطريقة التقليدية للحياة على نحو فعّال.

وأخطار الأصولية اليهودية، التى ضربت بجذورها فى أعماق المجتمع الإسرائيلى باعتبارها على الأقل جزءاً من السلطة الحاكمة، عظيمة. وبالنسبة لغير اليهود فى الشرق الأوسط، العرب وخاصة الفلسطينيين، فإن الخطر الأساسى يكمن فى الشكل المسيانى للأصولية اليهودية، وهذا يتبدى كأوضح ما يكون فى الدور الذى تقوم به المستوطنات التابعة لليهود المتطرفين فى الأراضى المحتلة.

وموقف الأصولى اليهودى من المهرطقين أسوأ كثيراً من موقفه من غير اليهود.

إننا نؤمن إيمانًا راسخًا بأن النظام الأصولى اليهودى، إذا تولى مقاليد الحكم فى إسرائيل، فإنه سوف يعامل اليهود الإسرائيليين الذين لا يقبلون معتقداته أسوأ مما يعامل به الفلسطينيين، وهذا الكتاب هو محاولة لتقديم فهم أوسع للأصولية اليهودية، ونأمل أن يساهم فى الحيلولة دون تحول التهديد إلى واقع.